



# إحياء فقه السنن

في مسيرة الثورة السورية

الندوة التشاورية الخامسة

"على طريق التمكين"

١ - ٣ صفر ١٤٣٧ هـ الموافق ١٣ - ١٥ نوفمبر / تشرين الثاني

محور السنن الربانية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ العَدُولَ عَنِ النِّظَرِ فِي الكَوْنِ وَمَعْرِفَةَ سُنَنِ اللَّهِ فِي الآفَاقِ وَالْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ  
وَالدُّوَلِ وَحُسْنَ التَّعَامُلِ مَعَهَا وَالِاقتِصَارَ عَلَى النِّظَرِ فِي الأَمْرِ الشَّرْعِيِّ  
مَوْقِعٌ فِي الرُّؤْيَةِ النُّصْفِيَّةِ الَّتِي لَا تُؤَهِّلُ صَاحِبَهَا لِلشُّهُودِ الحَضَارِيِّ





## المحتويات

٧	..... مقدمة
٨	..... الاستكتاب في محور السنن الربانية
١٠	..... التعريف بالسنن لغة واصطلاحاً
١١	..... خصائص السنن الربانية
١٣	..... الورقة (١) سنة التغيير في القرآن الكريم (د.محمد العبدية)
٢١	..... الورقة (٢) مصائبنا بذنوبنا (الشيخ فايز الصلاح)
٣١	..... الورقة (٣) خيارات المكونات الثورية في ضوء فقه السنن الربانية (أ.عباس شريفة)
٤١	..... الورقة (٤) إنها السنن (م.رياض الحسن)
٥١	..... الورقة (٥) السنن وإعادة الدور الحضاري (م.طلحة الناصر)
٦٥	..... الخاتمة والتوصيات





بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة :

نعيش اليوم فرصة ثورية تاريخية قد لا تتكرر لمئات السنين، تتلخص في إمكانية استثمار الحالة الثورية لبناء حكم رشيد ينعم الناس تحته بالعدل والحرية والأمان، وتكمن أهمية هذه الفرصة في كون الثورة الشعبية حالة قد يُخطط لها لسنوات طويلة وتتوفر دواعيها لكنها لا تقوم، وقد تقوم دون أن يتوقع أحد توقيت قيامها.

وبعد أن انطلقت وقامت على الظلم والاستبداد وجدنا العمل على تقويمها وإنجاحها واجباً جماعياً، باعتبارها نقطة تحول في تاريخ البلاد، وإذا لم نسع في إنجاح الفرصة التي بين أيدينا فقد فرطنا فيما آتانا الله.

والفرص لا تدوم، فهي سريعة الأفعال لا تلبث أن تلبث أن تغادر، كالريح الهوجاء تهب وتدمر ثم تسكن وتهداً كأن شيئاً لم يكن، ومن كان يتحدث بالأمس عن ثورة شعبية عارمة يخوضها الصغير والكبير والرجل والمرأة.. أصبح يتحدث اليوم عن هجرة الطاقات وعزوف الكوادر فضلاً عن فتور العزائم وقبول الأمر الواقع، وانتظار ما تفرضه علينا قوى الشرق والغرب.

ومن حقنا هنا أن نتساءل عن النصر الذي كنا نرجوه ونتطلع إليه في بداية الأمر، هل هو أمر يناله كل أحد؟ وهل بإمكان كل من تطلع إليه أن يقطفه؟ وما هي الطرق الموصلة إليه، وهل يصح تعدد هذه الطرق؟ أليس له أسباب وقوانين؟ وهل هي مجهولة حتى نتلمس للوصول إليها شتى الطرق والسبل؟ وما يدفعنا لطرح هذه التساؤلات هو القدر الهائل من الثمن الباهظ الذي نبذله يوماً بعد يوم مع شعورنا بأننا نراوح في مكاننا وندور في حلقة مفرغة.

لقد نبهنا الله عز وجل في القرآن العظيم إلى أنه أعلم بنا وبما يصلح لنا، فقال جل من قائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك ١٤، ثم بين لنا أن الأمر له وحده كما أن الخلق إليه وحده فقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، وهذا يستلزم بالضرورة أن ما يصلح لنا قد أوحاه الله إلينا، وأن أمر الله تعالى هو سبيل الصلاح لنا ولحائنا، ومن ذلك أن الله تعالى قد علمنا في كتابه من السنن والقوانين التي أودعها الله في خلقه، وفي الأوامر الشرعية التي تعبدنا بها ما يختصر علينا الطريق ويغنينا عن خوض التجارب والمغامرة فيها، كسنن التدافع والإهلاك والاستبدال والاستخلاف، وسنن النصر والتمكين، وسنن المداولة وتمحيص الصفوف... وغيرها.

وبالرغم من وضوح هذا الأمر لنا وضوح الشمس، إلا أنه غائب عن واقعنا غيباً يثير التساؤل عن مكمّن الخلل وموضع الداء!



لقد كان الوحي يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، بحسب الحدث الذي يعايشونه، فيفهمون المراد منه، ويتربون على مواعظه وزواجره، ثم ينساب في واقع حياتهم، فيعيشون الإيمان ويقطفون ثمرة التمسك به، حتى إذا حادوا عنه قيد شعرة عرفوا ذلك في ابتعاد الثمرة وتعكر الصفو، وفجاء الوحي ليقوم الخطأ ويصلح الاعوجاج ويبين مكن الخلل (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا، قل هو من عند أنفسكم).

وكما كان النص يتنزل في الحدث في واقع الصحابة، فإننا نحتاج اليوم تنزيل النص على الحدث في كل واقعة نعيشها.. تنزيلاً نتربى به في ظل القرآن من جديد، ونستشعر به سنن الله في خلقه كما كان الصحابة يعيشونها ويتفيؤون ظللالها.

### الاستكتاب في محور السنن الربانية :

حول هذه السنن وتطبيقاتها العملية في واقع ثورتنا استكتب مركز الحوار السوري الباحثين بإعداد أوراق تعالج عدداً من الجوانب المختارة من واقع خبرتهم، رأوا فيها محاكاة للتربية التي تلقاها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل تنزل الوحي ومخاطبته لهم، وفق خطاب إيماني تطبيقي يمس واقعنا ويعالجه، فما يرغبون تقديمه للندوة التشاورية الخامسة التي أقامها مركز الحوار السوري.

### مع الاسترشاد بما يلي :

- التركيز على قضية أو قضايا واقعية حصلت في الثورة السورية ولمس الجميع آثارها.
- استحضار السنن التي بينها الوحي في الكتاب أو السنة وغابت عن التطبيق في القضية المتناولة.
- ذكر سبل التصحيح والدروس المستفادة من هذه القضية موضع الدراسة.
- تجنب الإشارة إلى فصيل أو كيان بعينه أو ذكر ما يفهم منه ذلك.

### نماذج للقضايا التي يمكن تناولها، للاسترشاد وليست للحصر :

١. تعليق النصر بأسبابه الحقيقية (الصبر والتقوى)، والاعتدال في الاهتمام بالأسباب المادية بقدر لا يلهي عن الواجب الشرعي في تحصيل أسباب النصر الشرعية.
٢. ترك التعويل على الكثرة والتكاثر، وما يتبعها من مبالغات أو مجانية للحقيقة.
٣. التواضع وترك التفاخر المورث للتعصب للذات والجهة، المؤدي إلى البغي والظلم.
٤. السعي المستمر لجمع الكلمة، واجتباب الاشتغال عنها بما يقوي الفصيل ويضعف الأمة.



٥. وجوب التفقه والتعلم قبل الشروع في مجال أو عمل بما يتناسب مع المسؤولية التي تحملناها.  
٦. التجديد الإيماني.

وقد طلب المركز من الباحثين:

- التركيز على قضايا كبرى واضحة لا خلاف في حصول المخالفة الشرعية فيها.
- الطرح الإيجابي الذي يبدأ بالقضية المطلوبة والواجب الغائب، ثم يصف المثال في الواقع المبتعد عن الشرع.
- الجمع بين وصف الواقع، وتحديد المشكلة، ووجه المخالفة، والتوجيه القرآني للحل، والخطوة الأولى الشرعية فيه، وصفة من يتعين عليهم السعي في الحل.

وذلك وفق نموذج يتضمن الفقرات الآتية:

١. عنوان الواجب الغائب أو القضية.
٢. وصف المشكلة، وتحريير محل النزاع فيها (إخراج الأوصاف غير المقصودة في الورقة؛ تركيزاً للطرح، وإبعاداً للمشتتات، وتخفيفاً للمناقشات خارج الموضوع).
٣. وجه المخالفة الشرعية الواضحة في الأمر، والاستدلال لها بالوحي، وتوضيح وجه الاستشهاد.
٤. الخطوات العملية الأولى في العلاج في ضوء التوجيه الرباني (كيف نبداً).
٥. معايير وأوصاف من يتعين عليه السعي في التصحيح.

وقد تلقت اللجنة المنظمة للندوة التشاورية الخامسة عدداً من الأوراق استجابة للدعوة أعلاه، فأجازت ما تم تقديمه في هذا الملف مما تم عرضه في الندوة والحوار حوله.

ثم كان من توصيات الندوة التشاورية الخامسة أن ينشر مركز الحوار السوري منتجاً يجمع الأوراق المقدمة في الندوة التشاورية الخامسة ضمن محور السنن. ويأتي هذا الإصدار الذي نضعه بين أيديكم استجابة لتلك التوصية.



## التعريف بالسنن لغة واصطلاحاً :

للسنن عدة معان منها: سن الماء على وجهه أي صبه عليه صباحاً سهلاً، والسنن: القصد، ويقال: بنى القوم بيوتهم على سنن واحد): أي على مثال واحد. ابن منظور، لسان العرب، ص (٢٢٢).  
وجاء في مختار الصحاح: السُّنُّ الطريقة، يقال: استقام فلان على سنن واحد، ويقال: امض على (سُنِّكَ) و(سُنِّكَ): أي على وجهك، وتَحَّ عن (سنن): الطريق، و(السُّنَّة): السيرة، و(سَنِّ) السكين: أحده، و(المِسْنِّ): حجر يحدد به، وكذلك (السِنان): وهي سنان الرمح وجمعه أسنَّة. الرازي، مختار الصحاح، ص (٣١٧).  
والسنن من الله: أحكامه وأمره ونهيه، والسنة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة، قال الله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين (٥٥)﴾ الكهف ٥٥، سنة الأولين: أنهم عاينوا العذاب.

ويقصد بالسنة: الاتباع، ففي الحديث: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» أخرجه ابن ماجه برقم (١٦٨)، وقال عنه الألباني: (صحيح)، وأخرجه مسلم باب «من سن سنة حسنة أو سيئة، وكل من ابتداً أمراً عمل به قوم بعده قيل هو الذي سنه وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها، والأصل منه الطريقة والسيرة، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي - صلى الله عليه وسلم -، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز؛ ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة أي القرآن والحديث.

## والسنن الكونية على ضربين من حيث الاصطلاح:

١. منها ما يخص الكون، ومنها ما يخص الإنسان كفرد من أفراد هذا الكون، فالكون مخلوق لله - تعالى - مسخر للإنسان، ليس له إرادة، وهو مضبوط بسنن ونواميس، يطلق عليها اليوم اسم «قوانين الطبيعة».
٢. ومنها ما يخص الأمم والحضارات والجماعات والدول قوة وضعفاً، قياماً وسقوطاً، فالمتقصد بالسنن الإلهية: هي القوانين الحاكمة قدرماً في العباد التي تجري بأطراد وثبات وعموم، في حياة البشر.



### خصائص السنن الربانية :

لا يمكن الانتفاع بالشيء الا بمعرفة خصائصه، وخصائص السنن الربانية، من أبرزها:

١. إن السنن الإلهية ثابتة لا تتغير ولا تبدل. لثبات: أي لا تتبدل ولا تتغير.

﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر ٤٣.

فهي عبارة عن قوانين وقواعد أشبه ما تكون بالمعادلات الرياضية، قد خلقها الحق سبحانه لتنظم وتحكم حركة الكون والحياة والأحياء، وتحكم حركة التاريخ، وتنظم ناموسية التغيير، وتحكم بالدورات الحضارية، موضحة عوامل السقوط وعوامل النهوض الحضاري.

٢. حاكمة لا تحابي ولا تجامل. من راعاها راعته ومن صادمها غلبته.

٣. مطردة لا تتوقف ولا تتأجل.

فإذا وجدت مقدمتها فستفضي إلى نتائجها، أي التكرار أينما وجدت الظروف المناسبة مكانا وزمانا وأشخاصا وأفكارا: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ آل عمران ١٣٧.

«جاء القرآن يبين للناس أن مشيئة الله تعالى في خلقه إنما تنفذ على سنن حكيمة وطرائق قديمة، فمن سار على سنته في الحرب مثلا ظفر بمشيئة الله وإن كان ملحداً، ومن تكبها خسر وإن كان صديقا، وعلى هذا يتخرج انهزام المسلمين في وقعة أحد حتى وصل المشركون إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فشجّوا رأسه، وكسروا سنّه.

٤. عامة لا تنتقي ولا تنتخب ولا تستثني.

لا تشدّ عنها أمة ولا حضارة ولا جماعة أي أنها تشمل كل البشر والخلائق دون استثناء وبلا محاباة.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ النساء ١٢٣.

فهي حاكمة على جميع الأفراد، والأمم والمجتمعات، فإذا وقفنا عند قانون من قوانين الله تعالى كقانون النصر نعلم أن له ضوابط ومعالم تسحب على الجميع دون مجاملة ولا محاباة.





## الورقة الأولى

# سنة التغيير في القرآن الكريم

الدكتور محمد العبد

الثورة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها إذا هي لم تغير الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته، وإن اقتصر على التغيير السياسي فما أسرع أن تعود لإنتاج الطغاة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد ١١.

محاور الورقة الأولى بعنوان "سنة التغيير في القرآن الكريم":

١. واجب الانسان والمجتمعات نحو السنن الربانية الجارية.
٢. طريقة إدراك هذه السنن واكتشافها.
٣. خصائص هذه السنن بالثبات والاطراد والشمول والاحتمية.
٤. سنة التغيير وابتداء التغيير من الإنسان ذاته ومن نفسه.
٥. العلل النفسية ودورها في انهيار الحضارات.
٦. خاتمة تطبيقية لفقه السنن على واقعنا الثوري في فلسفة الصراع بين الحق والباطل والفقه السياسي والرشد في علاج مع ظاهرة الغلو.



## الورقة الأولى

### سنة التغيير في القرآن الكريم

#### تمهيد:

ما أكثر ما تنطلق الصيحات من هنا وهناك ترفع شعارات التغيير منادية بها، وهي صيحات ليست بدعاً من القول ولا منكرًا؛ فالتغيير مطلب أساس في كل لحظة تتحرّف الأمور عن مسارها؛ ولا سبيل إلى إعادتها إلا بالتغيير، تغيير لا يتأتى بمجرد قراءة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد ١١، تجويداً وترتيلًا، ولا بمجرد تسبيح الله بكرة وأصيلاً، أو رفعها شعارًا وتمثيلًا، إنما هو تغيير يتحقّق بتزليل التغيير في شتى مجالات الحياة إلى واقع عملي.

ولن ينجح أيُّ تغيير دون إدارة تتولّى الإشراف عليه من مختلف النواحي والمجالات، فالهزيمة التي مُنيت بها في مجال التغيير مردّها إلى غياب التخطيط وسوء التوجيه.

ومن آثار غياب الإدارة: الاختلاف فيم يكون التغيير؟ ومن أين يجب أن يبدأ؟ وما الأولويات التي تُعطى لها العناية والاهتمام؟ وما هي الوسائل التي تصلح هنا ولا تصلح هناك؟

فهناك من يراه: في نشر العلم، وتحقيق التنمية، وآخرون يرونه في إصلاح العقيدة وتنقيتها، والبعض يراه: في إصلاح المجتمع وتزكيته، ومهتهم من يحصره في التغيير السياسي وطرف آخر يرى كل هذه الأشياء مترابطة لا يمكن فصل أي منها عن الآخر، وهناك من يرى تحقيق هذه الأشياء بجهد جماعي، وبعضهم بشكل فردي، وغير ذلك من الجزئيات التي تحتاج إلى حسن إدارة وتوجيه.

الارتجالية في اتخاذ القرار، والفوضوية في التنفيذ، وعدم الصبر على الوضع القائم بإزالة ضرر يترتب عنه ضرر أشد، فيتولد منه ما هو أكبر منه. كل هذه المشاكل جعلت من بعض دعاوي التغيير ترجع بالفساد أكثر مما تجابه من المصالح.

العملية التغييرية تستدعي وعياً بالمتطلبات، حتى تواصل الحركة فعلها التغييرية دونما انقطاع، وهذا يتطلب امتلاك القدرة على تحديد المنطلقات، والأهداف، ونوعية الأمراض التي يراد علاجها، والتركيز على الأولويات؛ فيقدم الفرض على النفل، والواجب على المندوب، والقريب على البعيد، والميدان الذي تكثُر الحاجة إليه على الميدان الذي تقل الحاجة إليه؛ وعلى هذا المنوال قسّم مقاصد الشرع إلى: ضرورية، وحاجية، وتحسينية، وأهميتها حسب الحاجة إليها.



### سنة التغيير في القرآن الكريم:

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن السنن الكونية والشرعية وقد طوّل الإنسان أن يتبعها لأنها خير له في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر ٤٣، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ الأعراف ٢٤، إلى آيات كثيرة. والسننة هي الطريقة المتبعة والقانون المطرد الذي لا يتخلف، ومأخذها من اللغة العربية من سن الماء إذا والى صبه فشبهت الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب، فإنه لتوالي أجزائه على نهج واحد يكون كالشيء الواحد. فهي إذن دائمة لا تتغير وغير مقيدة بالزمان أو المكان ولسائر البشر، وكما يوجد سنة كونية (غليان الماء عند المئة وتجمده عند الصفر) كذلك الأمر في الحضارات وانهايات الأمم.

وقد ذكر القرآن الكريم سنة التدافع وسنة التدرج وسنة الأجل وسنة التسخير، وأن الله لا يصلح عمل المفسدين، وأنه ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به، وغير ذلك وهو كثير، والعلم بهذه السنن من أنفع العلوم، فهي القواعد التي إن خالفها الإنسان سقط في الهاوية، وهذا الأمر لم يعهد في الكتب السماوية قبل القرآن كما يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله، وقد دلنا القرآن على أحد أوجه معرفة هذه السنن ومأخذها ألا وهو السير في الأرض والاطلاع على أحوال الأمم ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ آل عمران ١٢٧، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت ٢٠.

أكثر القرآن من ذكر السنن ليترسخ في أذهان الناس وأذهان المسلمين أن أمور الدنيا وما يعرض فيها من دول وحضارات وعزة وذلة، وكثرة وقلة، وأن أمر البشر في اجتماعهم وما ينشأ في ذلك من صراع بين الحق والباطل، كل هذا يجري على طرق قديمة وقواعد ثابتة وليس الأمر عبثاً أو فوضى.

ومن السنن التي ذكرها القرآن سنة التغيير الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال ٥٣.

### التغيير يبدأ من الإنسان:

المستنبط من هذه الآيات أن التغيير يبدأ من الإنسان أو من القوم والجماعة، والآية ذكرت القوم ولكن سنتكلم في الأغلب عن الفرد لأن العامل التربوي الإسلامي كَوْن الفرد قبل أن يكون المجتمع، وهذا التكوين هو الذي ولد الحضارة وكَوْن المجتمع الأمتل .



والدليل على أن البدء من الإنسان قوله تعالى: ﴿لَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ المدثر ٣٧، وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فاطر ١٠، فالإنسان بين أمرين، بين تقدم إلى الهدى وبين تأخر إلى الضلال، بين تقدم إلى تسخير الكون وبين تأخر إلى التخلف والاستسلام.

هناك سنن للإنسانية جميعاً فالرزق المحدود يأتي من السماء لكل البشر، ولكن للفرد أولقوم معينين يقدر الله الرزق حسب درجة اتقائهم وأخذهم بالأسباب ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ نوح ١٠ - ١١، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف ٩٦، وكذلك الأجل كإنسانية وجودها على الأرض محدود، أما كأفراد وأقوام فأجالهم تزيد وتنقص طبقاً لمراعاتهم قوانين الصحة والأمن والسلامة وصله الرحم كما جاء في الحديث .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله: "هناك تقديرات وقضاءات إلهية حسب إخلاص الأمم وعزمها وطموحها وصلاتها، هذه التقديرات المعلقة يمكن أن تراها العيون المبصرة إذا كان عندها رصيد كاف من دراسة القرآن الكريم، وكأن كاتب التقدير ينتظر القضاء الإلهي، ومثل هذا الوقت تساوي لحظة من لحظاته قرونًا، لأن زلة واحدة وقتذاك قد تفرق سفينة أمة بأسرها" الطريق إلى السعادة والقيادة ص ١٨.

إن لم يتغير الإنسان فالبدل جاهز ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ التوبة ٣٩.

### ما هو الشيء الذي بالأنفس ؟

عندما أراد فقيه علم العمران والمؤرخ ابن خلدون أن يسبر غور التاريخ ليتعرف على بداية الخلل في الحضارة الإسلامية توصل إلى النتيجة التالية : إن الأمر كله راجع إلى حسن القصد وسوء القصد، بحسب ما يكون في نفوس الأفراد من عهد وأمانة، وفي سلوكهم من استقامة وإخلاص، بدأ الخلل عندما تغيرت النية، كان الناس في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أو في زمن الراشدين يبايعون ويطيعون تدينًا وإخلاصًا لا رغبًا ولا رهبا، ولكن الأمور لم تستمر كذلك دخلت العصبية القبلية ودخل المنع والعطاء، لأن الحضارة الإسلامية بالدين قامت، فإذا ضعف الوازع الديني عن التأثير في سلوك الإنسان لم يعد عنده من العطاء ما يخلع به على استمرار قوة الأمة ورقيها، والعقيدة ذات أثر خلقي سلوكي فكان التفصي عن آثار هذه العقيدة من جهة حب الدنيا وحب الرئاسة والتقلب في الشهوات مما أدى إلى أن تخور تلك الإرادات البناءة ولم يعد الفرد قادراً على إنجاز المهمة الملقاة على عاتقه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء ١٠٥.



إن نقطة انطلاق الحضارة الإسلامية هو هذا التحول النفسي وهذا المبدأ الذي حملته الفرد المسلم مخلصاً فيه أشد الإخلاص، فكان الاندفاع الأول قوياً إلى درجة أن آثاره امتدت إلى قرون تالية، حتى إذا ما وهنت هذه القوة الإيمانية بقيت مظاهر الحضارة ومعالمها، ونشأت بعدها مظاهر أخرى لم يبق هذا الفرد هو معمرها عندما فقد قوة الايمان والخلق والسلوك.

الشيء الذي بالأنفس هو هذا التفرق الموجه، وهذا التشرذم الذي لاداعي له، وهل يمكن أن يكون هذا التفرق ايجابياً من قبيل التعدد الذي يمدح، الذي يجمع الطاقات ويساعد على التنافس؟ من الصعوبة أن نعتبر ذلك ايجابياً، بل هو من التفرق المذموم وخاصة في مثل ظروفنا الحالية، ولا أتهم أحداً بعينه وأعلم أن الخير الكثير موجود، هذه الأعداد الكثيرة من التجمعات شيء غير طبيعي، أم أن التفرق من طبيعتنا؟ إذن يجب أن نعالجه، فكما أننا لا نتخلص من الاستعمار مالم نتخلص من القابلية للاستعمار كما يقول مالك بن نبي، كذلك يجب أن نتخلص من القابلية للتفرق.

لا أستطيع أن أنكر أو أغمض عيني على ما أرى من حب الرئاسة أو شهوة الرئاسة عند كثير من الناس وكثير من القيادات، هل سمعتم بالذي قال: إنني سأترشح للرئاسة وأنا أهل لها، أو بالذين نصبوا أنفسهم رؤساء للثورة ولم ينصبهم أحد، أو الذي هم حريصون على التروؤس ولو لعدد قليل والذي يشكل حزباً من أفراد أسرته فقط، وإن للرئاسة شهوة ليس لها حد، وإن لأشعة الإعلام وزينة الكاميرات شهوة مثل ذلك.

لا أتكلم هنا عن الانتهازيين المتسلقين الذين يتقنون القفز إلى أعلى أغصان الشجرة، فهؤلاء مكشوفون، ولكن أتكلم عن المسلم الذي يخفي حبه للمناصب والرئاسة ويداور من بعيد، وإذا لم يحصل عليها ينفصل ويقول لك إنه غاضب من أجل المنهج ويشكل فصيلاً جديداً، لقد كتم حبه للرئاسة، ولكنه لم يحسن فطام النفس عن أخبث عللها فظهرت وانكشفت. من هو هذا الذي يخطط للمصلحة العامة ويتعب ثم يجد نفسه فجأة في الصفوف الخلفية؟ لقد أبعد القوم وتقدم الذين لم يتعبوا. من هو هذا الذي يسمع منك فكرة جيدة أو رأياً من الآراء فيردهه وكأن الفكرة له ولا يذكر صاحبها الأول، فأين الإنصاف وأين الإخلاص؟

ونعود مرة أخرى لتحليلات ابن خلدون حين يتحدث عن الثورات وأسباب نجاحها أو فشلها، وأن الثورة إن كانت على حق ولكنها ليست قوية بالعصائب والعشائر - حسب لغة ابن خلدون أي بالعدد الكافي وتوحد الوجهة - فإنها لن تنجح، فكيف إذا كانت أمورها مختلطة، يقول: " فإذا ذهب أحد هذا المذهب (الثورة) وكان فيه محقاً قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة



الهلاك، وأما إن كان من الملبسين بذلك في طلب الرئاسة فأجدر أن تعوقه العوائق لأنه أمر الله لا يتم إلا برضاه والإخلاص له والنصيحة للمسلمين".

إن الآيات التالية تلقي ضوءاً على تفسير ابن خلدون وإن كان بعضها موجهاً للكفار قال تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ الشورى ٢٠، وقال تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم وهم فيها لا يبخسون﴾ هود ١٥، فهذه الآيات توضح أن هناك أسباباً كونية من تمسك بها أوصلته إلى ما يريد ولو كان لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وأن المؤمن إذا أخذ بالأسباب الدنيوية فهو سعيد في الدنيا والآخرة.

جاء في سنن أبي داود أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا أجر له).

وقد يكون ما بالأنفس الجهل بالظروف التي تحيط بنا والحالة الإقليمية والدولية وتقديرها تقديراً صحيحاً من خلال القواعد الشرعية وسنة التدرج وقد يكون الجهل بالسنن الإلهية وأن الصراع بين الحق والباطل لا تتكشف عقباؤه في سنة أو سنتين ولا في جولة أو جولتين، وهل يغني الأمة أن تكون مسلمة وهي لا تدرك سنن الله في أسباب النهوض وأسباب السقوط والتراجع؟ وقد يكون التقصير في بناء المؤسسات التي تحافظ على المكتسبات وترسخ هذا المفهوم للمستقبل وللأجيال القادمة وخاصة المؤسسات السياسية التي هي ضعيفة عندنا، وقد يكون الجهل بمكر الأعداء ومخططاتهم وأساليبهم (وما تخفي صدورهم أكبر) والذين ذهبوا مبكراً إلى موسكو وطهران ربما لا يعلمون مدى إجرام هاتين الدولتين وحقدهم على الإسلام. أليس من السذاجة أن نصرح بكل ما نريده أو نخطط له؟ وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة فكان إذا غزا غزوة ورى بغيرها، هل سار المسلمون في الأرض ودرسوا التجارب المبررة التي وقعت أحداثها في بعض مناطق العالم الإسلامي في العقود الأخيرة، بل التي تقع الآن أمام أعيننا؟ لا شك أنهم سيخرجون بنتائج ربما تغير مجرى ما هم عليه الآن. إنه من الأوهام أن يظن الفصيل الفلاني أنه يستطيع تحرير سورية دون مشاركة أو دون توحيد الجهود، لقد أخطأت بعض الجهات خطأ فادحاً عندما تساهلت في البداية مع الغلو حتى استنحل وأصبح من أعداء الثورة. وأقول من تجربتي الخاصة: ما أضرنا في حياتنا الدعوية مثل أصحاب الأهواء الدنيوية وحب المناصب على حساب أهل الحق الذين يستكونون إما خجلاً أو لعدم إدراكهم لخطورة ما يفعل هؤلاء.



لم يطل القرآن الكريم النفس في القضية السياسية لأنه يعتبرها ثمرة لتغيير ما بالأنفس، فموطن التغيير هو ميدان النفس ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿آل عمران ١٤٧ - ١٤٨﴾.





## الورقة الثانية

# مصائبنا بذنوبنا

## الشيخ فايز الصلاح

لا بد من التزام الأمر الشرعي كما نراعي الأمر الكوني في نهضتنا الحضارية، فمخالفة الأمر الشرعي قد تكون أعمق أثراً في تردّي الأمة من مخالفة الأمر الكوني، وهذا أمر يغيب عن الكثير بسبب غيبية الربط السببي بين المصائب والذنوب.

### محاور الورقة الثانية بعنوان (مصائبنا بذنوبنا):

١. ثبات السنن خصوصاً فيما يتعلق بالثوب والعقاب.
٢. الأدلة النقلية من الكتاب والسنة على أن الذنوب تأتي بالمصائب.
٣. التلازم بين خسارة معركة التكليف وبين خسارة المعركة العسكرية. المسلمون إذا لم يحققوا الانتصار على أنفسهم في ساحات السلم، فإنهم لا يستحقون النصر من الله في ساحات الحرب.
٤. ارتفاع الذلة عن الأمة مرتبط بإقامة فريضة الجهاد على وجهها الشرعي.
٥. الاعتقاد بأن الله هو الذي سلب الذل، يعطي المؤمن يقيناً واطمئناناً أن الأمور كلها بيد الله، ثم يكون الأمل عند المسلمين في تغيير الأحوال إيماناً بوعده الله.
٦. التعلق بالخوارق والمعجزات لا يجدي في تغيير حال الأمة من غير الاستقامة.
٧. المفهوم الشمولي في الرجوع للدين وإقامته شرط لتغيير حال الأمة: هذا الرجوع إلى الدين يجب أن يكون شاملاً على جميع الجهات، عقيدةً وشرعيةً، ومنهجاً وسلوكاً، من أعلى شعب الإيمان وهي التوحيد، إلى أدناها وهي إمطة الأذى عن الطريق.
٨. يجب إعداد الأمة الإسلامية أفراداً وشعباً للجهاد في سبيل الله، علماءً وعملاً، لأنّ الجهاد هو ذروةُ سنام الإسلام.
٩. مفسد مخالفة المنهج الرباني بتعليق مصاب المسلمين بغيرهم.



## الورقة الثانية

### مصائبنا بذنوبنا

#### تمهيد:

لا بد لنا أن نخرج من التعلق بالسبب المادي بين الفعل والأثر إلى الحذر من الترابط السببي بين المعصية والبلاء، فإن للذنوب آثاراً عظيمة على الأمم، فما نزل بلاء ولا كرب ولا شدة إلا بذنب، والذنوب هي سبب هلاك الأمم السالفة، وهي سبب حلول النقم وزوال النعم، وهي سبب في تسلط أعداء الإسلام على الأمة، والواجب علينا هو المبادرة بالتوبة حتى يرفع الله عز وجل ما بنا، والله عز وجل يفرح بتوبة عبده، إذ هو أرحم بالعبد من نفسه.

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ الأنفال ٢٥، فلا يتوهمن متوهم -ولو كان صالحاً- أنه سينجو إن نزلت العقوبة الجماعية، نسأل الله أن يرفع عن الأمة البلاء. ففي صحيح البخاري وغيره من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً حتى لا نوذي من فوقنا، فلو تركوهم وما أرادوا لهلكوا وهلكوا جميعاً، ولو أخذوا على أيديهم لنجوا جميعاً". البخاري، فكثير من المسلمين الآن يتصور أنه ما دام قد حقق الصلاح وامتثل الأمر واجتنب النهي فقد نجا، وينظر إلى المنكرات وإلى الذنوب والمعاصي التي خيمت سحبها القاتمة المظلمة الكثيفة على سماء الأمة ثم يهز كتفيه ويمضي، وكأن الأمر لا يعنيه ما دام يأكل ملء فمه، وينام ملء عينه، وظن المسكين أنه قد نجا، بل وربما يستدل على نجاته بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ المائدة ١٠٥. وقديماً خشي صديق الأمة رضي الله عنه هذه السلبية القاتلة، وهذا الفهم المغلوط.

ما المخرج؟ المخرج أنه لا يكفي صلاحك أبداً، بل يجب أن تكون صالحاً مصلحاً، ولا ينبغي أن تنظر إلى المنكرات وتهز كتفيك وتمضي وكأن الأمر لا يعنك. أيها الأفاضل: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في هذا الدين، وهو وظيفة الأنبياء والمرسلين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلَت الديانة، وفشت الضلالة، وعمت الجهالة، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التداد، فهو شرط من شروط خيرية أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران ١١٠، فلا ينبغي أن ترى المنكر دون أن تغيره.

## مصائبنا بذنوبنا :

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،  
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن الله قد خلق الخلق وأمر بالأمر قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف ٥٤.

وجعل الله الكون خاضعاً لسنن ثابتة لا تتبدل، ومطرودة لا تتحول، وخاصةً بما يتعلق بالثواب والعقاب على نطاق الأفراد والجماعات، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر: ٤٣.

ومن هذه السنن الثابتة والتي غفل عنها حتى بعض المسلمين سنة: "أن ما أصابنا إنما هو بسبب منا وهو ذنوبنا وتقصيرنا في جنب الله"، وما وقع بلاءٌ إلا بذنب، ولا ارتفع إلا بتوبة.

الأدلة النقلية على هذه السنة الربانية:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى: ٣٠.  
وَقَالَ لِيخَارَ خَلْقَهُ وَأَصْحَابِ نَبِيِّهِ: ﴿أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ آل عمران: ١٦٥.

بل قال مخاطباً نبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ النساء: ٧٩.  
وَالْمَرَادُ بِالْحُسْنَةِ وَالسَّيِّئَةِ هُنَا النِّعَمُ وَالْمَصَائِبُ الَّتِي تُصِيبُ الْعَبْدَ مِنَ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ: "مَا أَصَابَكَ"، وَلَمْ يَقُلْ: "مَا أَصَبْتَ".

ومجيء «مصيبة» و«سيئة» نكرة في (سياق النفي)، تفيد العموم، فكل مصيبة أو سيئة، صغيرة كانت أو كبيرة، فهي بسبب ما قدمت أيدي المسلمين أنفسهم، ويعفو عن كثير.

وقد تعددت الدلائل النقلية من الكتاب والسنة في تثبيت هذه الحقيقة في العقول والقلوب.  
قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال ٥٣.

وقال أيضا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم ٤١.

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ النحل: ١١٢.



وقال عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ نوح: ٢٥.

وفي الحديث عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ، وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرَ".

ومن أعظم البيان والتفصيل في هذا المفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" (١).

هذا الحديث العظيم فيه فوائد:

- الأولى: بين الرسول صلى الله عليه وسلم فيه الداء وما ترتب عليه من العقوبة ثم وصف الدواء، فالداء هو الانحراف عن شريعة الله، وذكر منها الرسول صلى الله عليه وسلم صورا، منها التعامل بالربا، والركون إلى الدنيا، ثم ترك الجهاد في سبيل الله، فكانت العقوبة من الله عز وجل بتسليط العدو، الذي لا يرتفع إلا بالعودة إلى هذا الدين جملة وتفصيلاً.

- الثانية: المسلمون إذا لم يحققوا الانتصار على أنفسهم في ساحات السلم، فإنهم لا يستحقون النصر من الله في ساحات الحرب، فالمجتمع الذي ينتشر فيه الربا هو مجتمع غير متكافل ومتراحم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ومن لا يرحم لا يرحم" (٢)، وقال أيضاً: "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء" (٣).

ونصر الله لا يكون إلا لأهل الرحمة، قال تعالى في وصف من استحق النصر من سلف هذه الأمة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح ٢٩.

من أجل ذلك فلا تعجب عندما يتحدث الله في القرآن عن غزوة أحد وأحداثها القتالية، فيبتدئها بالحديث عن الربا قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٣٠، وهو سبحانه وتعالى يشير إلى هذا المعنى الذي قدمناه، أي إن لم تتصروا الله في ساحات السلم، فلا نصر لكم في ساحات الحرب، إن لم تتعرفوا على الله في الرخاء لن يعرفكم في الشدة.

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٢٢، وأحمد ٤٢/٢، والبيهقي ٢١٦/٥ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١١.

(٢) البخاري رقم ٥٦٥١، ومسلم رقم ٢٣١٨، عن أبي هريرة.

(٣) أبو داود ٤٩٤١، والترمذي ١٩٢٤، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

ومن العجب أنك تجد المسلمين يصابون في كل يوم بقارعة أو تحل قريباً منهم، وهم مع ذلك كثير منهم يصرون على الربا والزنا والفواحش ما ظهر منها وما بطن، ثم يريدون بعد ذلك أن ينصروا، أو أن تنزل على الكفار قارعة من السماء تحسم لهم المعركة، أو يخرج لهم المهدي ينقذهم مما هم فيه.

ففي كل يوم نحقق الهزائم الكثيرة في ساحات السلم، هزائم في ترك صلاة الجماعة، بل في ترك الصلاة، وفي عدم الالتزام بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، هزائم في حجاب المرأة، هزائم في السياسة والاقتصاد والإعلام، هزائم في قضايا الولاء والبراء.

وصدق الله عز وجل إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: ٧، وإذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد ١١.

• الثالثة: أن المصائب والذل الذي يعيشه المسلمون ليس من أعدائهم، وإنما هو من أنفسهم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران ١٦٥، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى ٣٠.

• الرابعة: الاعتقاد بأن الله هو الذي سلب الذل، يعطي المؤمن يقيناً واطمئناناً أن الأمور كلها بيد الله، ثم يكون الأمل عند المسلمين في تغيير الأحوال إيماناً بوعد الله، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور ٥٥.

وبهذا يكون المؤمن بين الرجاء والخوف، الرجاء بارتضاع الذل عن الأمة، والخوف من بقائه بسبب أفعالنا المخالفة للشرع، مما يدعو المسلمين إلى ترك المخالفات.

• الخامسة: في قوله: "حتى ترجعوا إلى دينكم"، ولم يقل إلى صلاتكم، أو إلى حجكم، إلى جهادكم، ... فهذا كله من الدين، وليس هو كل الدين، فالدواء أعم من أن يختص بواحد من ذلك.

فإن قيل: إن الجهاد يرفع الذل عن الأمة، قلنا: نعم، ولكن ليس كل قتال، فالله عز وجل لم يرد منا قتالاً مطلقاً من غير قيد أو وصف أو شرط، وإنما طلب منا جهاداً شرعياً، ترتفع به راية التوحيد، جهاداً يُعبد به الناس لرب العالمين، لا من أجل مصلحة دنيوية أو عرقية أو قومية، أو للشجاعة والحمية.



عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيًّا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (٤).

- السادسة: هذا الرجوع إلى الدين يجب أن يكون شاملاً على جميع الجهات، عقيدةً وشريعةً، ومنهجاً وسلوكاً، من أعلى شعب الإيمان وهي التوحيد، إلى أدناها وهي إماطة الأذى عن الطريق، فالدين كله لبابٌ لا قشورَ فيه.
- السابعة: يجب إعداد الأمة الإسلامية أفراداً وشعوباً للجهاد في سبيل الله، علماً وعملاً، لأنَّ الجهاد هو ذروة سنام الإسلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" (٥).

فإذا قطع الرأس فلا حياة، وإذا كسر العمود فلا بناء، وإذا نقص أو ذهب السنام فالجمل لا يموت، ولكنه يبقى باركاً في الأرض ضعيفاً هزيباً ينتظر السباع العادية أو سكين الجزائر. وههنا لفتة في الحديث، وهي أن ذروة السنام هي منتهى ما يكون من الجمل، وذلك بعد المرور بالرأس والقوائم والجسد، فلا بد من الإعداد الإيماني أولاً، ثم المادي ثانياً، لتحقيق الجهاد كما يحبه الله ورسوله، فينبغي تكثيف الحلقات والدروس لإعداد هذه الأمة جهادياً علماً وعملاً، ويكون ذلك في الهواء الطلق ظاهراً للجميع من غير سرية، لأن أمتنا أمة جهاد، فنحن الآن لم نحقق الجهاد الدفاعي فضلاً عن الجهاد الطلبي، فيجب علينا التعاون في دفع العدو الذي صال وجال على أرضنا الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، مؤكداً قبل كل شيء على العلم الذي هو أساس كل تغيير (٦).

ويغلط من يقول: إن الحل لهذه الأمة هو الجهاد القتالي وحسب، بل لا بد من العودة إلى الدين كله تصفية وتربية، ومنه الجهاد في سبيل الله.

ونعني بالتصفية العودة إلى الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، ثم تربية المسلمين على ذلك، وبعض طلبة العلم جعل بين القتال في سبيل الله ومنهج التصفية والتربية عداءً وخصاماً.

(٤) البخاري رقم ١٢٢، ومسلم رقم ١٩٠٤.

(٥) الترمذي رقم ٢٦١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١١٢٢.

(٦) قال البقاعي في: نظم الدرر (١٢/١٢٨): «ذكر قصة موسى مع الخضر التي حصلها أنها طواف في الأرض

لطلب العلم عقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد وقدم الأولى إشارة إلى علو درجة العلم لأنه

أساس كل سعادة وقوام كل أمر». والذي طاف الأرض من أجل الجهاد هو ذو القرنين.

إن عملية التربية والتصفية لا ينفك عنها مسلم في كل آن وحين، فلا بد له من أمر ونهي، وينبغي أن يكونا على وفق الشريعة، والحق أن في هذه المسألة إفراط وتضييق، فمن قال لا جهاد مطلقاً حتى الدفاعي منه حتى تتم عملية التصفية والتربية فهو مخطئ ولا شك، ومن قال بالجهاد المطلق دون التصفية والتربية فهذا باطل ولا شك، ولكن يظهر الانحراف عند بعض الشباب الذين يتكلمون عن الجهاد، ثم هم يذمون منهج التصفية والتربية، ثم لا جهاد ولا تصفية ولا تربية<sup>(٧)</sup>.

### بين تحليلين :

الكون بأفراده وأحداثه خاضع للسنن الربانية سواء كانت كونية أو شرعية، وينبغي على الناظر في الواقع والأحداث الجارية أن يراعي النوعين، وإنك لتجد غالب الذين يحللون الواقع يغلبون التحليل الكوني المادي على التحليل الشرعي، بل لا يكاد يذكرونه البتة، والكمال في التحليل إعمال النظرتين والعينين.

ولما كان الناس يغلبون الجانب المادي تجد أن القرآن يركز على التحليل الشرعي لأنه هو الأصل. ولنضرب في ذلك مثالين اثنين في غزوة أحد وغزوة حنين.

لما حصل في غزوة أحد ما حصل، لم يتكلم الله عز وجل، عن مكر جيش المشركين عندما استغلوا خطأ نزول الرماة، فالتفت حول الجيش المسلم مهاجماً مؤخرته، مما أدى إلى تغير الحال من النصر إلى الهزيمة، لم يكن هذا التحليل المادي مادة مغرية في القرآن، وإنما كشف الله المخبوء في النفوس، فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعِدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران ١٥٢، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ آل عمران ١٥٥، وقال أيضاً: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مَّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران ١٦٥.

ومثل ذلك لما تحدث الله عن غزوة حنين فقال في شأنها: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾ التوبة ٢٥.

فتكلم عن الداء الدفين وهو الإعجاب بالكثرة، ولم يتكلم عن مباغته العدو لهم في الكمين

(٧) قال ابن الجوزي-رحمه الله- في «صيد الخاطر» ص ٥٤: «من أحب تصفية الأحوال فليجتهد في تصفية

الأعمال، قال الله عز وجل: ﴿وَالْوَالِاتُ سَقَمْنَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْفِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ الجن ١٦.



الذي نصب لهم لأن هذا أثر لذلك.

### الخلل الواقع في هذه السنة:

لقد وقع خلل في هذا المفهوم وغفل كثير من المسلمين عن هذه السنة الربانية، وظهر ذلك جلياً في النازلة الشامية، فقلما تجد الدعاة يتحدثون عن هذه السنة ويبلغوها للناس، مبررين ذلك أننا لا نريد أن نكثر من جلد الناس والذات، ولا نريد أن نحملهم هما فوق همومهم!!

بل لما يتحدث بعضنا بهذه السنة يصيح عليه آخرون قائلين: لا تثيروا الغبار علينا، لا تُصدِّعوا الصف من الداخل، لا تشمت بنا الأعداء، وخاصة لما تتحدث عن أخطاء المقاتلين التي يجب أن تتلافى، فيقال لك: سلم منك أعداء الله ولم يسلم منك إخوانك، في قائمة طويلة منتهاها الصد عن سبيل الله وقمع لكلمة الحق وخنق لها.

لقد أصبح عند بعضنا حساسية عالية من النقد، تربيها عليها في أجواء الاستبداد الطاغوتي، وفي أجواء التعصب والتقليد وتعظيم الشيوخ والحزب والجماعة، وتربينا على أن النقد قلة أدب، وتضيق بين المسلمين، ولا يفعله إلا كل مخذل مثبط قاعد يتحدث من تحت المكيفات!!.

ومع التسليم جدلاً أن هناك صاحب قصد سيئ، يشمت بإخوانه. مع أن معرفة ما في القلب لله وحده. فإنه لا ينبغي رفض النقد من غيرنا، حتى ولو كان كافراً، لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذ بها.

عن قتيبة رضي الله عنها: "أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا ما شاء الله وشئت" (٨).

وفي هذا الحديث قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان، فلم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم قبول الحق من اليهودي الكافر المشرك وفي مسألة تتعلق بالتوحيد، وهو الرسول الذي يوحى إليه من السماء. بل قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه عن الشيطان لما علمه قراءة آية الكرسي عند النوم، قال: " صدقك وهو كذوب".

إن المؤمن العاقل هو الذي يفرح بنقد الآخرين أكثر من مدحهم، بل العدو القادح خير في كثير من الأحيان من الصديق المادح، لأن العدو يركز على الأخطاء حتى لو كانت صفات فيكبر الصغير ويعظم الكبير، أما الصديق قد يهون لك العظيم ويتغاضى عن الصغير!!.

(٨) النسائي ٦/٧، وأحمد ٦/٢٧١، وصححه الألباني في الصحيحة ١١٦٦.



إن الجهاد والدعوة إلى الله عز وجل عمل صالح عظيم، ولكن ليس معنى ذلك أنه لا يضر معه معصية، فيصبح القائم بذلك معصوماً لا يُنتقد، فإذا كان الانتقاد قد توجه إلى خير البرية بعد الأنبياء الذين هم الصحابة، فمن باب أولى أن يتوجه إلى غيرهم، ولكن ينبغي أن يكون المقصود بذلك النصيحة للمسلمين، والمسلم الحق هو الذي يبين الحق ويرحم الخلق.

فبعض الناس قد يبين الحق ولكن بغلظة وجفاء، وبعضهم قد يكون رحيماً رفيقاً ولكنه لا يبين الحق بل قد ينطق بالباطل.

قال شيخ الإسلام في «الرد على البكري» ص ٢٥٦: «وأئمة السنة والجماعة، وأهل العلم والإيمان، فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلم، كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ المائدة ٨، ويرحمون الخلق، بل إذا عاقبواهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان مقصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا».

والأخطر من ذلك عندما نبرئ أنفسنا من الظلم مطلقاً ونحمل الآخرين ما نحن فيه فلا نرى إلا يد الظالم تبطش والحقيقة أن هناك ظالمين ونحن منهم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأنعام ١٢٩.

ولما رأى الحسن البصري أهل العراق يسبون الحجَّاج قال لهم: لما تسبونونه إنما عمالكم أعمالكم وكما تكونوا يولِّ عليكم!!

ولما اقتحم بختنصر الكافر بني إسرائيل قال لبعض صالحيهم كيف حدث هذا وأنا كافر ظالم وأنتم أنتم، قال: بذنوبنا وظلمك.

لقد تسلط الظالم علينا بظلمنا لأنفسنا أو لغيرنا، وهذه التي سماها مالك بن نبي: القابلية للاستعمار، تهب الريح على الأغصان فيتكسر بعضها ويثبت الآخر، فلا تقل أن الريح كسرت ولكن اجتمعت قوة الريح مع ضعف الأغصان وخرابها فتكسرت، وإلا كيف ثبتت الأغصان الباقية؟!.

وهؤلاء الذين يعلقون المصائب التي أصابت المسلمين بغيرهم، فقد خالفوا المنهج الرباني والهدي النبوي وتحليلهم هذا فيه مفاصد شتى:

١. مخالفته للكتاب والسنة في تحليل الواقع، فالله سبحانه مثلاً، قد ألقى تبعه ما أصاب المسلمين في أحد وحنين عليهم أنفسهم، لا على أعدائهم من الكفار والمنافقين، قال تعالى: ﴿أولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ آل عمران ١٦٥، وقال في غزوة حنين: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم...﴾.



٢. فيه تعظيم للكفار في نفوس المسلمين، وأنهم وراء كل مصيبة تحل بالمؤمنين، مما يزيد هيبة الكفار في نفوس المسلمين ويزيدهم ذلك رهقاً، كقول بعضهم: (أعداء الإسلام يلعبون بمقدّراتنا، ويتحكمون بمصائرنا !!) الله أكبر !! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، بل الذي يتحكم بمصيرنا إنما هو الله وحده لا شريك له، له الحكم وإليه ترجع الأمور كلها لا إلى غيره.

٣. دب الوهن واليأس والقنوط في قلوب المسلمين.

٤. إضعاف الإيمان بالله تعالى واليقين به، والتوكل عليه، وأنه القادر على كل شيء، والقاهر فوق كل شيء.

٥. فيه تزكية للنفس بمعنى: أننا استكملنا شروط النصر، ونحن مستحقون له، ولكن غلبنا بقوة الكفار وكيدهم لا بسبب تقصيرنا في حق ربنا وهذا يدفعنا إلى:

٦. إهمال تربية أنفسنا، وحسابها على تقصيرها، فلا نصلح أعمالنا، ولا نسدّ ثغراتنا.

٧. سوء الظن بالله العليّ القدير، وأنه لم يف بوعده في نصر المؤمنين بعد أن استحقوا ذلك.

وليس معنى تحميل المسلمين تبعة ما يصيبهم تبرئة الكفار وأعداء الله مما يمكرون به ويكيدونه للمسلمين فهذا أمر، وذاك أمر آخر، وإنما يجب أن يعرف المسلمون الداء الذي أوصلهم إلى هذا النذل والتسلط، من قبل الأعداء فالداء في أنفسنا ودواؤه بأيدينا بإذن ربنا ومعاونته.

ثمرات الإيمان والعمل بهذه السنة:

١. العمل بمقتضى الكتاب والسنة لتكون الرحمة والصلاح.

٢. الشعور بالتقصير والسعي إلى دفعه وذلك بالالتزام بشريعة الله.

٣. إضعاف مكانة الأعداء في نفوس المسلمين، وأنه لا حول ولا قوة لهم علينا إلا بما كسبت أيدينا.

٤. تعظيم الله في النفوس وأنه المدير لكل شيء، وببيده الأمر كله، فالنصر من عنده وببيده كما

قال تعالى: ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ آل عمران ١٢٦، ثم لا يعني ذلك

أن لا نحذر من الكفار وكيدهم، بل يجب أن نأخذ حذرنا منهم كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين

أمنوا خذوا حذرکم﴾ النساء ٧١، ويجب أن نعد العدة لهم بقدر الاستطاعة، كما قال تعالى:

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ الأنفال: ٦٠.

هذا والله أعلم وأحكم، والحمد لله رب العالمين.



### الورقة الثالثة

## خيارات المكونات الثورية في ضوء فقه السنن الربانية

الأستاذ عباس أبو تيم شريفة

في مرحلة من مراحل جهاد الأمة وجود الله تعالى عليها بالتمكين الجزئي فإن رأى منها رشداً وقياماً بأعباء الإستخلاف جاد عليها بالتمكين الكلي وإلا ردها إلى حمئة الاستضعاف من جديد.

محاور الورقة الثالثة من محور السنن بعنوان "خيارات المكونات الثورية في ضوء فقه السنن الربانية":

١. سنة التمكين وعناصرها.
٢. شروط التمكين.
٣. وسائل التمكين.
٤. أزمة اختزال المفاهيم في فقه التمكين.
٥. تحويل فقه التمكين إلى معادلة قابلة للقياس.
٦. التفريق بين ثبات المبادئ ومرونة الوسائل.
٧. فقه دروس البلاء في الصبر واليقين مقدمة للانتقال إلى التمكين.
٨. سنة التيه والرشد.
٩. سمات حالة التيه.



## الورقة الثالثة

### خيارات المكونات الثورية في ضوء فقه السنن الربانية

#### تمهيد:

إن إجماع علماء الأمة منعقد على أن الواجبات الشرعية في الأصول والفروع لا تتوجب إلا على القادر وأن التكليف منوط بالتمكين والقدرة ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما يتعلق بالصلاة «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب» وفيما يتعلق بالزكاة من المتفق عليه أنها لا تجب إلا على واجد المال وفيما يتعلق بالحج ربنا يقول سبحانه: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً...﴾ آل عمران ٩٧، وفيما يتعلق بالصوم كذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام...﴾ البقرة ١٨٣، ﴿... فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر...﴾ البقرة ١٨٥، إذاً هنا الأمر مرهون بشرط في جميع الواجبات الشرعية بل أقول: حتى الشهادتان اللتان هما المدخل للإسلام وبوابة الجنة لا تجب على الإنسان إلا مع القدرة فالإنسان الذي لا يستطيع النطق الأصم الذي لا يستطيع النطق بها يكفي أن يعتقدها بقلبه ويسقط عنه حكم النطق بها الذي يكلف به القادرون فمن المقرر أنه يسقط عن المكلف التكليف بمقادير ما يصيبه من العجز وهذا الأمر يشمل الواجبات الفردية والفرائض الجماعية التي تجب على عموم الأمة من إقامة الدولة وتنصيب الامام والجهاد وإقامة الحدود هذا ما يجده المتدبر للسير النبوية كيف كان يتدرج الوحي بالتكليف على حسب قدرة الصحابة وكيف كان يخفف عنهم بمقادير ما يطرأ عليهم من ضعف وعجز ولكن تبقى قضية تحديد التمكين من عدمه وتحديد درجته وما هو الممكن مما هو متعذر من الفرائض محل نزاع ونظر بين الجماعات الإسلامية الامر الذي يتطلب منا تأصيلاً ضابطاً لفقه التمكين وغدراك سنة التمكين وكيف نجعل منا معادلة قابلة للقياس حتى لا تبقى قضية عائمة خاضعة لرغبات واهواء المنظرين

واخطر هذه المراحل التي يجب دراستها على واقعنا السوري هي سنة التيه والرشد التيه الذي ينال الأمة التي تخرج لتوها من قبضة الحكم الجبري وقد حملة في سلوكها كل أنواع العلل النفسية وهي تتلمس طريق رشدتها وخلاصها في هذه الورقة وقفات على أهم معالم سنة التمكين وتدبر لسمات حالة التيه التي تصاب به أمة ما وهي تغادر مرحلة الأستضعاف والاستعباد لتستنشق عبير الحرية ولكنه تتعثر وهي تتحو نحو رشدتها مثقلة بعلاها الأمر الذي يتطلب محض تربية خاصاً تتهياً من خلالها الى مهمة الإستخلاف والتمكين.

**أولاً / سنة التمكين:**

بداية التمكين هو ان تتمكن منا الفكرة فتختلط بأرواحنا ونعيش ونموت لأجلها فالاجتماع حول الفكرة هو الوقود المحرك والمنظم للطاقت الثورية.  
وبداية الضعف هو ضعف ارتباطنا بالفكرة وهكذا شان كل الامم تقوى بقوة ارتباطها بالفكرة الجامعة وتضعف بضعف صلتها بالفكرة الجماعة.

**عناصر التمكين:**

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا × يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا × وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ سورة النور.

١. (آمنوا منكم) إيمان عميق بفكرتك.
  ٢. (عملوا) عمل واجتهاد صائب ودؤوب في سبيلها.
  ٣. منهج صحيح في السير إليها (الذي ارتضى لهم)، لذلك لا يمكن أن تمكن مشاريع الغلاة والمميين.
  ٤. العمل الجماعي المنظم (الذين / امنوا/ لهم دينهم).
- الوعد الإلهي متعلق بشرطه الإيمان والعمل الصالح وكلاهما شرط لازم غير كاف للتمكين، لكن تبقى المشكلة في اختزال المفاهيم الشمولية في معاني ضيقة، كاختزال الإيمان بالتصديق الوجداني واختزال العمل الصالح بالشعائر.
- وإنزال المنهج الصحيح على العقيدة واختزال تصحيح العقيدة في الأسماء والصفات أو نواقض الإسلام وتجفيف الدفق العاطفي الإيماني، واختزال العمل الجماعي في مضائق حزبية منفصلة عن الأمة، وفي قوله تعالى: ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ النور ٥٥، دليل على أنه سنة ماضية.

**وسائل التمكين طريقتان: الدعوة والجهاد:**

ولكن المشكلة في اختزال المفاهيم الشاملة ليصبح الجهاد هو القتال مجرد عن الإعداد ثم تسطيح قضية الإعداد ويكتفي بالسلح التافه الذي يجر الهزيمة والاسراف في مفهوم التواكل السلبي فقط كما أن هناك طرف اخر يجعل من الجهاد هو جهاد النفس فقط يكاد ينفك ذكر الجهاد عن قيد (سبيل الله) في كتاب الله حتى يكون السائر على تيقظ في كل خطوة من تيه السبل باصراً لمعالم طريق الجهاد لانه العبادة التي يكثر فيه انزلاق السائرين عن سبيل الله



فكم من باذل للجهد المضاعف ضل عن سبيل الله لشبهة أو شهوة وهو يظن نفسه على هدى من الله تعالى والدعوة دعاية حزبية مغلقة بدعوة إلى الإسلام ولكن بالمقاييس الحزبية للجماعة .. تحقيق الشوكة هو من أهم أذرع التمكين والتي تتحقق عندما نوجد حالة من البراء والولاء الجامع للأمة، الولاء المعصب للأمة والبراء المحصن من الدواخل، وإذا اقتصر على الحزب كانت الفتنة والصراع البيئي اختراق المعارضة بعملاء النظام كان بسبب ضعف التحصين وتلاعب القوى الدولية كان بسبب ضعف التعصيب بين مكونات الثورة السورية.

لن نحقق شيئاً من التمكين ونحن نستورد وسائل الصراع من العدو الذي نصارعه، ولن نرفع راية التوحيد إلا بعلوم الدنيا وحراسة الدين بها.

تحويل قضية التمكين الى معادلة قابلة للقياس:

التمكين هو عناصر ( القوة ) =

١ / المعطيات الثابتة في القوة = التاريخ (تحضير الذاكرة والتجربة)

+ الجغرافيا (تحديد الأرض الصديقة والعمق)

+ (عدد السكان والقوة البشرية كما ونوعاً)

الثقافة (التمسك بالهوية والانتماء) ❖.

٢ / المعطيات المتغيرة في القوة = القدرة الاقتصادية (موارد تعطي القدرة على الصمود)

+ القدرة التكنولوجية (قوة الردع)

+ القدرة العسكرية (التعبئة الجهادية) ❖.

نتوصل إلى معادلة التمكين:

القوة = ❖ المعطيات الثابتة + المعطيات المتغيرة (الذهنية الاستراتيجية قراءة المحيط وتقسيمه

إلى: عدو/ حليف/ محايد) + التخطيط الاستراتيجي (تحديد القدرات الأساسية ودراسة

التحديات) + الإرادة السياسية (القيادة امتداداً لإرادة الشعوب وليس العكس) ❖.

وبذلك تصبح المعادلة:

التمكين = ❖ (التاريخ + الجغرافيا + عدد السكان + الثقافة) + (القدرة الاقتصادية + القدرة

التكنولوجية + القدرة العسكرية) ❖ مضروبة في (الذهنية الاستراتيجية + التخطيط الاستراتيجي

+ الإرادة السياسية).

لدينا إشكال كبير وهو أن الصراع في الثورة السورية وصل إلى الثوابت: ضرب هوية الشعب السوري

الإسلامية بهوية الغلو ثم طرح العلمانية كبديل عنها، في عدد السكان مرت الثورة السورية في ثلاث

مراحل.



أ / مرحلة الصراع السياسي لإسقاط النظام.

ب / مرحلة الصراع الجغرافي لتحرير الأرض.

ج / مرحلة الصراع الديمغرافي لتغيير البنية السكانية.

٣ / أما في الجغرافيا فلم يعد يخفاكم محاولة حرمان الثورة من الواجهة المائية ومن منابع الثروة لتكون مصادرة القرار وبيع عقارات للمليشيات الإيرانية بغرض التوطين.

من أهم شروط التمكين:

التفريق بين ثبات المبادئ ومرونة الوسائل بين خصوصية الهوية وبين عمومية الأدوات مشكلة كثير من الحركات الإسلامية فهي تنزل الأدوات والوسائل منزلة المبادئ التي لا يجوز التنازل عنها بحال فقد استمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرة: (١) الخاتم من حضارة الروم، (٢) الخندق من حضارة الفرس (٣) المنبر من حضارة الحبشة، بينما في الثورة السورية هناك الكثير من الوسائل يحاول لبعض أن يجعلها غايات.

من سُنَّة الله تعالى أن لا يرفع بلاء التأديب عن أمة حتى تَفْقَه مُرَادَ الله من البلاء

﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ النساء ١٤٧، بلاء التأديب ينزل على الأمة لتعود للمنهج الرباني وتصحح المسار فإن زاد انحرافها زيد عليها بالبلاء ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾.

سنة الله تعالى أن يعقب البلاء بالتمكين بشرط أن تخرج الجماعة برسوخ في الصبر خصوصاً على الواجبات السياسية من وحدة الكلمة واختيار القيادة والعمل الجماعي واليقين والاصرار على المواصلة ومن الاخطار الجسيمة التي قد تقع لنا هو تحديد عمر الثورة بنقطة نهاية وبداية في سقف زمني محدد مما يدفع البعض للاستعجال نحو الرخص السياسية والتنازل عن الثوابت والخطوط الحمراء لا تمكين بدون خطوط حمراء من لا يمتلك خطوط حمراء فهو عرضة للسقوط في درك التنازلات ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ الأنبياء ٧٣، ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة﴾ القصص ٥.

نلاحظ كثيراً من تجارب الجماعات أجهضت وهي قاب قوسين من التمكين بسبب السقوط في شهوة السلطة والإمارة وشبهات الغلو.

الصبر شرط من شروط الخروج من مرحلة البلاء إلى التمكين والصابر من لا تخرجه الشهوة عن الورع ولا تخرجه الشبهة عن العلم.



التمكين قبل البلاء يؤدي لاختلاط الصفوف وربما وصل المفسدون لقيادة مرحلة التمكين فيكون فسادهم أشد مما يقع من البلاء حال الاستضعاف. واليقين شرط للتمكين، فلا نَجُوزُ مرحلة البلاء بروح الهزيمة واليأس ولو كان الواقع كذلك فلا نجوز مرحلة الضعف بحال من قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾، ولكن بروح الثقة واليقين ﴿كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

اليأس صَنُو الكفر، ولا يُمَكِّنُ اللهُ لَأُمَّةٍ أَصَابَهَا الْإِحْبَاطُ وَالْإِنْهَزَامُ النَّفْسِيَّ وَالْعِجْزَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ.

أخطر ما يواجه الأمة في البلاء الوهنُ النفسيّ، الضعف المادي، الاستكانة للذل والهوان ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾، أو ما يسمى بالهزيمة النفسية وتصدير خطاب الاستضعاف للأمة، وبنو إسرائيل بعد أن نجّاهم الله تعالى من فرعون سقطوا في الشبهة فقالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، ثم سقطوا في الشهوة والخذلان والتعود عن الجهاد إخلاداً الى الدنيا وإيثاراً للعاجلة فقالوا: ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

في الثورة السورية وقع الأمر نفسه، فما فَتِنَ النَّاسَ يَتَحَرَّرُوا مِنَ الْعِبُودِيَّةِ حَتَّى سَقَطَ الْبَعْضُ فِي شَبَهَاتِ الْغُلُوِّ وَالْآخِرِ فِي شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، وهذه الأمراض لو حملناها إلى ما بعد إسقاط النظام فستكون كارثية.

مدة البلاء:

يمتد البلاء الترقية الذي يعقبه الاصطفاء والتمكين بمقدار المهمة التي تنتهي لها الجماعة ويمتد بلاء التأديب بالمقدار الذي تحرف به الجماعة عن جادة الصراط.

### ثانياً / سُنَّةُ التَّيِّهِ وَالرُّشْدِ:

الثورة هي مرحلة التي ينقلب فيها التائه على ذاته يتلمس طريق الخلاص وبيحث عن سبيل الرشاد يستشرف النور في نهاية النفق يبحث عن الحلول للزمات المركبة، ويقع التيه عند رفض الأمة التكليف والرشد عندما تُحْمَلُ التَّكْلِيفُ، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة ٢٦. سمات عصر التيه:

في عصر التيه تكون الأمة بين حالتين، لا هي داخلية في حكم الطغاة ولا هي داخلية في شريعة التكليف، لا هي في طور الحرية ولا في طور العبودية تهدم القيود المادية ولا تزال ترسف بالأغلال المعنوية.



التيه هو مرحلة الاستشفاء لآمة تكاثرت عليها العلل فكان لأبد من عزلها في أجواء خاصة لتتلقى التربية الناجعة. وللوقت ضرورته لاتمام البنيان وصقل النفوس من جديد وربما يحتاج الأمر الى استبدال جيل بجيل.

بقاء الرسالة بدون جماعة تحملها أهون عند الله من أن يقوم بحملها من ليس لها أهلاً، وانتظار المعجزات الكونية في ذلك لا يجدي. لان التغيير الحضاري لا يمكن أن يتم إلا من خلال السنن الجارية وليس من خلال السنن الخارقة.

من سمات حالة التيه الثوري:

(١) ترك جهاد الآمة والاقتصار على النخبة، قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة: ٢٤، وترك الجهاد لم يكن هو مبدأ العلل، بل هو نهاية تراكم العلل النفسية من حب العيش والوهن النفسي. وكراهية الموت في الحالة الثورية لا بد من استنفار كل خلية في الآمة.

هنا لا بد من اخراج الثورة من حدودها القطرية من خلال الاتصال بروافد الامداد من الامة على نحو منضبط عن العبيثة.

(٢) كثرة الجدل والتعمق في الأسئلة التافهة وأخذ الأمر الشرعي بالاستهزاء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة ٦٧ - ٦٨.

لقد كان الجدل من أكبر آفات الثورة السورية فلا تكاد تخلو مسألة كبيرة أو صغير شرعية أو سياسية أو اجتماعية إلا ويحتدم فيها الجدل العنيف الذي يصل إلى المنابذة أحيانا وذلك بسبب غياب الشفافية والثقة والمرجعية الشرعية المرتضاة من الجميع.

(٣) الاجترار على سفك الدماء (بالمعنى الأدق تنفيذ الاغتيالات السرية) وقصة البقرة إنما كانت بعد عملية اغتيال سرية ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا﴾.

(٤) التفرق إلى أحزاب وجماعات، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ الأعراف ١٦٨، ولا يجوز أن نكتفي بعلاج آفة الحزبية بالأسباب الفكرية متناسين الأسباب النفسية التي تعصف في الساحة. لقد كان للداعمين الدور الأول في تحزيب الساحة لربط الدعم بتيارات فكرية أو سياسية محددة.

(٥) الفراغ القيادي الفاعل وعجز القيادة عن استيعاب العلل النفسية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفِتَاهِهِ لَأَبْرِحَ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ الكهف ٦٠.



نشاهد في الثورة السورية رموزاً كانت فاعلة في الثورة أصابها الخمود وآثرت الانعزال مما جعل الساحة تعاني من شح الكوادر خصوصاً أن الكوادر عندنا تتوازع لا بتخطيط استراتيجي يوزع الأدوار وإنما بحسب الرغبات الشخصية.

(٦) التفاضل على الموارد، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ الأعراف ١٦٠.

(٧) وفور المذات بدون عناء، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة ٥٧.

(٧) بلاذة الذوق واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ البقرة ٦١.

(٨) قسوة القلب إلى درجة التحجر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ البقرة ٧٤.

(٩) الإيمان بالحسيات والشك في الغيبات، قال تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ النساء ١٥٣.

(١٠) التشرب بتقديس الأصنام المعنوية والمادية، قال تعالى ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ، قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة ٩٣.

ولكن يبقى السؤال بعد التأصيل هل يصح التنزيل على حالنا؟ وإن صحّ التنزيل على واقعنا فبأيّ مراحل التيه نحن؟ هل نحن في طور الدخول أم في طور الخروج أم بين بين؟ على ما يبدو أن كل أمة تخرج لتوها من الحكم الجبري الاستبدادي تبقى تحمل في كوامنها علل التربية المذلة بعد استمراثها للذل والهوان، ولعل هذا من حكمة الله تعالى أن يتربى موسى في بيت عز ومنعة بعيداً عن واقع الذل الذي عاشه قومه ﴿وَلِتَصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ طه ٣٩.

التربية الفرعونية وطول فترة الاستعباد جعلت بني اسرائيل أمة غير قادرة على التحول من حالة الاستعباد لحالة السيادة. بطفرة سريعة .. دخولهم بحالة التقليد فقولهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وجد الهم بقضية البقرة وهو أمر رباني واضح لا يحتاج للجدل هو محاولة للهروب من التكاليف الربانية، فكانت فتره التيه أو بمعنى الحصار الذي يولد في النفس رغبة عارمة للحرية مهما كانت تكاليفها، فكان الجيل الذي خرج مع يوشع بن نون عليه السلام.

حتى تخرج الجماعات الاسلامية من حالة الوهن عليها ان تقوم بالقياس الصحيح مع العلل النفسية والأمراض الاجتماعية التي أصابت أهل الكتاب من الإسرائيلين لتشخيص الداء والعلاج بشكل صحيح بناء على قوله صلى الله عليه وسلم: (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ).

ولا يصح قياسهم على المرحلة المكية مرحلة بلاء الاستضعاف في السيرة النبوية لبعدها الشقة بين الحالين ولكمية الامراض النفسية التي تحملها هذه الجماعات.

هل انتقلت الحركات الإسلامية من السفه إلى الرشد؟

لقد نهى البيان الإلهي وليّ اليتيم أشدّ النهي عن إيتاء السفهاء أموالهم قبل الاختبار لهم على جزء منه، فإن التمسنا منهم رُشداً دفعنا إليهم المال، وإن كانوا يراهم في السفه بقي الحجر عليهم ملازماً، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ النساء ٥، وقال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ النساء ٦، وما ينطبق على سفه فرْد ينسحب على سفه أمة.

إذا أراد الله تعالى أن ينشل الأمة من حال الاستضعاف إلى التمكين اختبرها بشيء من التمكين الجزئي، فإن أثبتت من نفسها رُشداً نقلها من التمكين الجزئي إلى التمكين الكلي، وإن بقيت تراهق في السفه أركسها في الضعف وحجر عليها خلافة الأرض إلى حين، فهل يخالف الله ما ينهانا عنه؟ هيهات.

إن الأمة التي تخرج لتوها من قبضة الطواغيت لا غرو أن تنته عن طريق الخلاص حتى تتلمسه وتتعرف على معالمة فبعد كل انطلاقة سريعة لا بد من فترة تخبط حتى تستقيم الجماعة على طريق الرشد وتثبت عليه.





## الورقة الرابعة

# إنها السنن

## المهندس رياض الحسن

إن إحياء الفرائض المغيبة من أهم ما تحتاجه الأمة في نهضتها، واستثمارها للسنن وخصوصاً فريضة الاعتبار والنظر في تجارب الأمم السالفة وفق منهج فكري منضبط يحجزنا عن السرح في الخيال ويوصلنا إلى مقدمات ونتائج ثابتة.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ فاطر .٤٤

محاور الورقة الرابعة وهي (بعنوان إنها السنن):

١. ضرورة إقامة فريضة الاعتبار من تجارب الأمم السالفة فيما يقصه علينا القرآن الكريم.
٢. سمات الحكم الاستبدادي القهري وأساليب الطغاة في قهر الشعوب.
٣. تجربة سيدنا موسى عليه السلام مع بني إسرائيل في بحثهم عن الحرية.
٤. العبر وقابلية الربط والتشبيه بين التجربة الاسرائيلية وبين الثورة السورية من حيث تشابه سلوك المستبد.



## الورقة الرابعة

### إنها السنن

#### تمهيد:

دعوة القرآن الكريم إلى معرفة التاريخ وأحداثه وأيامه، ومعرفة أحوال الأمم السالفة في الزمان المنقضى، والتبصّر بعواقبهم ولأن أغلب الناس لا يتعظون من الأمر المجرد والنهي المجرد ولا يرغبون بالوعد المجرد ولا يرهبون بالوعيد المجرد كان لا بد من القصص القرآني الذي يقرب الفكرة إلى الأفهام ويعرضها بأسلوب حركي وتصويري بياني يرسخ في الخيال.

لأن معرفة التاريخ الإنساني والقصص المتضمنة للأمم والأقوام والقبائل، وبيان أعمالهم وحضاراتهم، وبيان أحوال المكذّبين للوحي والرسل منهم، ومعرفة عواقبهم فيه من العبر والدروس والعظات ما يجعل من ذلك معتبراً وإصلاحاً للمستقبل القادم.

قال ابن تيمية: "وإنما قص الله تعالى علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان". العقود الدرية ١/ ١٣٧ □  
في هذه الورقة يلقي الكاتب الضوء على جوانب متشابهة في الثورة السورية يستخلصها من قصة موسى وهارون عليهما السلام مع الطاغية فرعون ويبين أن سنن الطغاة واساليبهم متكررة في كل زمان ومكان وأن امتدت الحقب والقرون.

في هذه الورقة يتناول الكاتب أركان الطغيان: (١) الملك الجبار ويمثله فرعون، (٢) الوزير المنافق المتملق ويمثله هامان، (٣) رجل المال والأعمال الذي يسخر كل ما يملك لبقاء الطغيان، ويمثله قارون، (٤) رجل الدين الذي ائتمنه الله على شرعه، وولى أبواب الله ظهره وسخر ما أوتي من علم لبقاء الطغيان يبيع دينه بعرض من الدنيا، ويمثلهم سحرة فرعون، (٥) رجال الإعلام الذين يسخرون أقلامهم وأفواههم لتسويق بغي الطغاة، ويمثلهم الحاشرون.

إن الاعتبار وتثبيت القلب والاستئناس بما حصل للأمم السالفة من أهم الحكم الربانية في عرض القصص القرآني.

## تشابه كبير:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف ١١١، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ آل عمران ١٣٧.

لا يخفى على المتأمل للقصص القرآني عمق الشبه بين نظام الحكم الفرعوني، ونظام الحكم الأسدي، ويمكن وضع الأطر العريضة لهذا الشبه فيما يلي:

١. الحكم العسكري المعتمد على الجند والمخابرات: يقول الله عز وجل: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) البروج، (وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ) (٢٤) الدخان، (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق) (٣٩) القصص.

٢. الحكم الطائفي: يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ القصص ٤.

إن استضعاف طائفة وتقوية طوائف أخرى عليها يضمن للنظام تأييد وولاء هذه الطوائف مهما كانت سياسته، ما دامت مستفيدة من المزايا التي يمنحها لها.

٣. الحكم الاستبدادي: الرأي فيه للحاكم الأوحده ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر ٢٩، لكنه ودائما يكون رأي المستبد رغبة جماهيرية، ومطلباً شعبياً، فحين يلقبه على الكبرياء والرعية تتلقاه بالقبول وتمنحه المشروعية، وكأنه أمر صادر عن إرادتهم: ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره، فماذا تأمرون﴾ الشعراء ٣٥، ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ الأعراف ١٠٩، وقالها السحرة بعدهم: ﴿قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما﴾ طه ٦٢، والمفارقة هنا أن المستبد يقول للرعية: ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ فينسبها لهم، وأنها دولتهم، وكان حاله قبل قليل: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ × أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يُكَادُ يَبِينُ﴾ الزخرف ٥١ - ٥٢، فقارتوا واختاروا الإبقاء على الوضع الحالي وإلا ذهب كل مكاسبكم.

٤. الحكم الفاسد: يقول تعالى: ﴿وفرعون ذي الأوتاد، الذين طفوا في البلاد، فأكثرها فيها الفساد﴾ الفجر ١٠ - ١٢، فالفساد فيه منظومة متكاملة أنشئت له مؤسسات ومناهج تُبنى عليه، وتدافع عنه، يقول تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين، إلى فرعون وهامان



وقارون فقالوا ساحر كذاب ﴿ غافر ٢٣. فكان رجال الدين، وأصحاب الأموال مع المستبد قولا واحداً: ﴿ ساحر كذاب ﴾، فالأمر وحدة مصير بالنسبة لهم، بل نجد أن أذنان النظام أشد شراسة من النظام نفسه، يبتغون عنده القرب والمنزلة، ويريدون إثبات جدارتهم كي يستمر اعتماد النظام عليهم، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَتَنْنَا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ × قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿ الشعراء ٤١ - ٤٢، فالأموال والمناصب توزع على سدنة النظام بحسب قوة ولائهم له.

٥. التظاهر بالتدين والصالح: وهنا تبلغ الوقاحة مبلغها في اتهام أي دعوة للإصلاح بأنما هي دعوة للإفساد وقلب نظام الحكم. ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ﴾ غافر ٢٦، ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذُرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنُنْقَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ الأعراف ١٢٧.

لما قال موسى وهارون: أرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم. قال: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى؟ ﴾ لأن إطلاق بني إسرائيل تمهيد للاستيلاء على الحكم والأرض، وإذا كان موسى يطلب إطلاق بني إسرائيل لهذا الغرض، وكل ما يقدمه هو عمل من أعمال السحر، فما أسهل الرد عليه: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ﴾ .. وهكذا يفهم الطغاة أن دعوى أصحاب العقائد إنما تخفي وراءها هدفا من أهداف هذه الأرض وأنها ليست سوى ستار للملك والحكم.. ثم هم يرون مع أصحاب الدعوات آيات، إما خارقة كآيات موسى، وإما مؤثرة في الناس تأخذ طريقها إلى قلوبهم وإن لم تكن من الخوارق. فإذا الطغاة يقابلونها بما يماثلها ظاهريا، سحر نأتي بسحر مثله! كلام نأتي بكلام من نوعه! صلاح نتظاهر بالصلاح! عمل طيب نرائي بعمل طيب! «الظلال. أي صلاح هذا بينما يضرب الحصار على أي عمل إصلاحي حتى وصل الأمر إلى إغلاق المعاهد والمدارس الإسلامية ومنع الحجاب!

أما الإيمان والعمل الصالح فيحتاج إلى إذن وترخيص من النظام: ﴿ قال آمنتم له قبل أن أذن لكم ﴾ طه ٧١.

وسيلة الإقناع الوحيدة في هذا النظام هي السجن، قال تعالى: ﴿ قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ الشعراء ٢٩.

٦. الحكم الوراثي: وهذا ظاهر في التوارث العائلي للحكم.

## كيف فهم قوم موسى عليه السلام الحرية؟

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ × مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ × وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الدخان ٣٠ - ٣٢.

لقد اختارهم الله على العالمين في زمانهم على كل ما قصه عنهم بعد ذلك من تلكؤ ومن انحراف والتواء، ولعل هذا بسبب وجود أنبياء تسوسهم، وتتجه بهم إلى الله على بصيرة واستقامة. إن طول عيش الناس تحت مثل هذا الحكم والفساد والظلم لا بد أن يترك فيهم آثارا سلبية: دينية واجتماعية وسياسية وغيرها، ولننظر إلى صور مما فعله قوم موسى عليه السلام بعد نجاتهم من فرعون ونيلهم حريتهم بعد امتهان واستعباد.

١. تشكيكهم بغرق فرعون ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً﴾ يونس ٩٢، قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما في قلوبهم من الرعب العظيم، من فرعون، كأنهم لم يصدقوا بإغراقه، وشكوا في ذلك، فأمر الله البحر أن يلقيه على نجوة مرتفعة ببدنه، ليكون لهم عبرة وآية. البغوي. فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه: إنا نخاف ألا يكون فرعون غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا هلاكه.

٢. أول خروجهم من البحر طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا يعبدونه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف ١٢٨.

٣. صنعوا العجل لعبادته: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ الأعراف ١٤٨.

٤. طلبوا رؤية الله جهرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ البقرة ٥٥.

٥. بدّلوا القول الذي أمروا به عند دخول القرية: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ × فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة ٥٨ - ٥٩.

٦. تطلبهم في موضوع الطعام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ

وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿البقرة ٦١﴾

٧. جدالهم في ذبح البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ × قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا تُمَرُونَ × قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْع لُونَهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ × قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقْرُ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ × قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿البقرة ٦٧ - ٧١﴾

٨. أذاهم لموسى عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿الأحزاب ٦٩﴾

٩. تفرقهم وتشتتهم اجتماعيا: حيث يظهر أن كل سبط منهم انعزل عن غيره، وله مشربه ومأكله الخاص به ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿البقرة ٦٠﴾، ويبدو أنه أيضا صار لكل سبط قيادته الخاصة به ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴿المائدة ١٢﴾

أدى هذا إلى تقطيعهم وتفريقهم في الأرض ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿الأعراف ١٦٨﴾

١٠. عصيان أمر القتال ودخول الأرض المقدسة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ × يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ × قَالُوا يَا مُوسَى إِنْ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ × قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكسِرُوا فَانكسِرُوا غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ × قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ × قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ × قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿المائدة ٢٠ - ٢٦﴾

كان هذا العصيان عن القتال في سبيل الله قاصمة الظهر، فبعده وقعت العقوبة بالحرمان من النصر، والته في الأرض أربعين عاما مات خلالها هارون وموسى عليهما السلام. لا شك أنه في هذه الفترة هلك جلّ القرن الذي عاش أيام العبودية، ثم نجا منها، وحدثت تغييرات كبيرة لكنها كانت تحتاج اختبارا أخيرا كي تحظى بالنصر والتمكين.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدَ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ × وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة ٢٤٦ - ٢٤٧.

إذن بقي تسمية الملك الذي يقاثلون معه موضع نزاع بينهم ولم يحل إلا بأية من عند الله تؤيد ملكه، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿البقرة ٢٤٨.

جاء الاختبار التالي بشرب ماء النهر ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ × وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ × فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ × تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿البقرة ٢٤٩ - ٢٥٢.

## العبر:

١. من المهم جدا في مثل حالة الحكم الفرعوني إخراج الناس من تحت حكمه، ومن أرضه للإبقاء على حياتهم أولا فهم يواجهون الإسراف في القتل والتعذيب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ × أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿الدخان ١٧ - ١٨، ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى ﴿طه ٤٧.



لقد كان لموسى عليه السلام مهمتان رئيستان: إيمان فرعون وقومه، ونجاة بني إسرائيل من حكمهم إن لم يؤمنوا.

هذا أمر ينبغي دراسته في الوضع السوري، وهو إخراج الناس إلى أرض لا يطالهم فيها قتل وظلم النظام السوري، أو يخفّ فيها ذلك إلى أقل حد ممكن، وهو ما نسميه المناطق المحررة التي يجب السعي لتحويلها إلى منطقة آمنة.

٢. حالة الناس في المناطق المحررة تشابه حالة بني إسرائيل بعد تحررهم من حكم فرعون، فقد فهموا الحرية أنها الانتقال من الخضوع المطلق إلى عدم الطاعة لأي أحد أو أمر، وقاسوا قيادتهم الجديدة على القديمة.

شاكس بنو إسرائيل ساستهم الذين تتالوا على قيادتهم وكانوا أنبياء مرسلين من عند الله تعالى، فقابلوهم بالكذب والقتل ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ المائدة ٧٠.

٢. إنه مع الاتفاق الظاهر على وجوب وجود قيادة موحدة وهي السنة الربانية الأصيلة للنصر والتمكين، إلا أن الحقيقة ستظهر حين السعي لتسمية شخص مثل ﴿طالوت ملكاً﴾، أو مجموعة قيادة مثل النقباء ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المائدة ١٢، وسيخترع الناس أعدارا عديدة لعدم الاعتراف أو الالتزام بها، كما حدث في تسمية طالوت، وفي الشرب من النهر للتصل من الالتزام بالقتال.

رغم ذلك فإن عدم وجود هذه القيادة أمر مصادم للسنن الإلهية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ مُبْيَانٌ مَرَّضُونَ﴾ الصف ٤، وهو معصية لله ورسوله، وسبب للتنازع وذهاب الريح، ومصيره الفشل المحتوم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَعَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال ٤٦.

كما أنه لا بد من الفصل بالجنود، والانحياز عن تجمعات المدنيين لتجنيبهم قصف النظام وحلفائه.

٤. إذا كنا نتخيل أن فرعون كان سيقبل إشراك بني إسرائيل في الحكم والملك، فيمكن تخيل شراكة مع النظام السوري في حكومة وحدة وطنية، أو هيئة حكم انتقالي.



الأمر لن يعدو عملية استنساخ النظام من جديد، وإعادة الناس تحت حكمه واستبداده، ولن يرجع الناس إلى ثورة قريبة عليه بعد تجربتهم الأليمة الحالية التي جاءت بعد أكثر من ثلاثين سنة على أحداث حماة الدامية.

٥. قد يطول أمد الحرب، كما طال أمد التيه، وهذا يعني توقع المزيد من التشتت والخلافات، كما يعني توقع اتجاهها نحو حرب ذات صبغة دينية، كذلك تعني توقع دخول أطراف عديدة في الصراع بشكل مباشر أو بالوكالة، فالיום يوجد في الساحة السورية الميليشيات الإيرانية والعراقية، وحزب الله اللبناني، وتنظيم الدولة، والقوات الروسية، وقوات التحالف الغربي، ولا يستبعد دخول قوات تركية وعربية لاحقا.

إن لم تجمّع المعارضة السورية نفسها، وتعتمد على مواردها الذاتية، فلا شك أنها ستتوزع وتتبع للدول التي ستتدخل، والتي ستعمل كل واحدة على وجود شريك لها من الفصائل المقاتلة كما في حالة أمريكا والقوات الكردية اليوم، وحينها يصبح الانقسام واقعا يصعب الانفكاك عنه.





## الورقة الخامسة

# السنن وإعادة الدور الحضاري

## المهندس طلحة الناصر

تبقى السنن الربانية خاصرة رخوة فهي وان كانت حتمية وقطعية في أصلها ولكن يبقى اجتهادنا في انزالها على واقع أمة ما ظنية في تقرير نتائجها ولذلك لتشابكها وكثرة مدخلاتها كان لا بد من ردها بالتخطيط الاستراتيجي ليقوي الجانب الرخوي في ضعف إدراكنا النظري ولتقرب نتائجها أكثر إلى القطعية واللغة الرقمية.

محاور الورقة الخامسة وهي بعنوان "السنن وإعادة الدور الحضاري" :  
المحور الأول / استخدام السنن "القوانين" في مدخلات التخطيط الاستراتيجي، وفيه ثلاث نقاط:

- ١ . طريق معرفة هذه القوانين:
  - ٢ . قانون السببية: وهو قانون يؤثر في عامة ما سواه من القوانين.
  - ٣ . التفريق في استخدام القوانين بين مدخلات التخطيط ومخرجاته.
- المحور الثاني / نموذج تطبيقي على خطتين استراتيجيتين وفق قوانين مختلفة:
- ١ . قانون المدافعة.
  - ٢ . قانون هلاك الظالمين، وانتصار المظلومين.
  - ٣ . قانون انتصار التمكين:
    - أ . شروط التمكين.
    - ب . معوقات التمكين.
- اقتراح الاستراتيجيات لتحقيق رفع الظلم على وجه التقريب.
  - اقتراح الاستراتيجيات لتحقيق مشروع التمكين.



## الورقة الخامسة

### السنن وإعادة الدور الحضاري

#### تمهيد:

لا يمكن أن يكون الشهود الحضاري وإعادة دور الأمة الحضاري بالتمني والاعتماد على السنن الخارقة.

الأمر الذي يتطلب منا اكتشاف ذاتنا والمحيط المتصارع بين الحضارات لنا برؤية واضحة تحدد الامكانيات والقدرات الذاتية والتحديات التي تحول بيننا وبين اهدافنا ثم حسن إدارتنا لنقاط قوتنا بدون مغالبة أو قفز للسنن للتنقل من الوجود الحضاري الى الشهود الحضاري وتبوء مقام الاستاذية والنهوض بأعباء الإستخلاف والنهوض بحمل الرسالة الإنسانية للعالم والإنسانية وتجنب التلاشي الحضاري، والتطفل الحضاري لأمتنا.

إن القرار السياسي والعسكري لدينا نحن المسلمون يفتر بشكا أساسي للدراسات والتخطيط الاستراتيجي مما انعكس على الأداء السياسي لدينا والذي يظهر في إصدار القرارات الارتجالية المفتقرة للنظر الجيو سياسي والحيواستراتيجي وكثرة التراجع عنها والأخطاء القاتلة والصراعات البينية والإغراق في التنظير المفتقر للمعلومات فهذه الأسباب وأسباب أخرى أدت الى غيبش كثيف في حجب الرؤية الكلية، حيث صار تكرار التجارب الخاطئة أمراً مألوفاً، كما صار الاتعاظ بأحداث الواقع والتاريخ والسنن الربانية شبه معدوم وآل الأمر بنا إلى حيرة وقتنوط واستعجال لقطف ثمار لم نبذل جهودها ونترقب النصر من معارك لم نخض غمارها كحال المتواكلين من المتصوفة التي تقفز على الأسباب الكونية المشروعة مع كثرة ادعاء الشفافية والحيادية والموضوعية لفقه الواقع والسيطرة عليه .

إن تفعيل دور مراكز الأبحاث والدراسات قد أصبح من مقتضيات الضرورات السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والأكاديمية والاجتماعية والتنموية؛ وذلك بوصفها الطريقة الأمثل لإيصال المعرفة المتخصصة، من خلال ما تقدمه من إصدارات علمية وندوات متخصصة، من شأنها أن تضاعف مستوى الوعي لدى صانع القرار والمؤسسات والأفراد، وتساعدهم على الربط بين الوقائع الميدانية وإطارها العلمي النظري.

فمراكز الأبحاث ليست مجرد مراكز لتجميع المعلومات، ولكنها مراكز لإنتاج الأفكار والتخطيط الاستراتيجي المبني على تحديد القدرات الأساسية للامة والجماعة ونقاط الضعف



والمعوقات عن تحقيق الاهداف وكيفية التغلب عليها ورسم الاهداف ثم تحديد سقف زمني للإنجاز.

إن تقسيم الواقع إلى وحدات موضوعية ودراسته دراسة تخصصية في إطار رؤية شاملة مع امتلاك الأدوات المنهجية والمادية، ولذلك هو المدخل الوحيد الى فهم الواقع على ما هو كائن عليه بعيداً عن النظرة العاطفية للواقع (كما نحب أن يكون) أو النظرة المثالية (كما يجب أن يكون)، وهنا يلزمنا تعزيز التفكير السببي والنقدي والاستقرائي والتجريبي.

السنن الربانية هي خطوط في مستقرة في مقدماتها ونتائجها الحتمية ولكن يبقى بين هذه الخطوط العريضة خطوط خفية لا تقل أهمية في تأثيرها عن السنن في المخرجات لذلك كان لا بد من رفدها بالتخطيط الاستراتيجي وامتلاك ادواته في دقة المعلومة وحدثه والقياس الكمي والنوعي الدقيق للمدخلات حتى تكون المخرجات دقيقة.

في هذه الورقة يحاول الكاتب استخدام السنن الربانية في مدخلات التخطيط الاستراتيجي بطريقة علمية ونموذج تطبيقي .



## السنن وإعادة الدور الحضاري:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.  
وبعد،،،

فهذه ورقة حول السنن الإلهية، واستخدام قوانينها في إعادة الدور الحضاري المفقود للمسلمين، عبر أدوات التخطيط الاستراتيجي أو الاستراتيجي... كتبها محاولاً وضع لبنة تقبل الفصام الموهوم ما بين الديني والديني، الفصام الذي أنشأ مفاهيم مغلوبة أو مشتتة، كالصراع بين الغيب والوجود، بين الروح والجسد، بين الفرد والجماعة، بين العدل والحرية، وفي مفاهيم الفناء والخلود، وفي النظرة للعالم والآخرة، بدلاً من تصالح هذه المفاهيم وفق أقصى حالات التوافق والانسجام... تماماً كما أمر الله... في قوانين ثابتة لا تتغير.

كل ما يقع في هذا العالم من حوادث لا يقع صدفة، ولا يخبط خبط عشواء، وإنما يحدث وفق قانون عام، ثابت وصارم، لا يخرج عن أحكامه شيء. فجرى الشمس ومنازل القمر وسير السحاب وإنبات الزرع، كل ذلك يسير وفق نظام دقيق.

والبشر كذلك يخضعون لقوانين ثابتة في تصرفاتهم في الحياة، وما يكونون عليه من أحوال، وما يترتب على ذلك من نتائج حضارية، كالفراغية أو الفقر، والعز أو الذل، والرقى أو التخلف، والقوة أو الضعف.

والإنسان لا يستطيع أن يغير شيئاً من هذه القوانين، لأنها -ببساطة- قوانين، أي مسلمات وليست فرضيات قابلة للتجربة والخطأ. والذي يسع الإنسان ويحسن به أن يزيد من علمه بهذه القوانين.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ × الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ × ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الملك ٢ - ٤.

تتحدث الورقة عن السنن في محورين: استخدام السنن "القوانين" في مدخلات التخطيط الاستراتيجي، وإعطاء نموذج تطبيقي على تخطيط استراتيجي وفق قوانين مختلفة، سائلاً المولى السداد والرشد.



## المحور الأول / استخدام السنن «القوانين» في مدخلات التخطيط الاستراتيجي:

الحديث في هذا المحور عبر ثلاث نقاط:

### ١. طريق معرفة هذه القوانين:

الله أمرنا بمعرفة القوانين، وهي السنن، والأخذ بها، وبقدر ما يعرف الإنسان من تفاصيل وجزئيات هذا القانون يكون مقدار الاستفادة منه. قال تعالى: (قل سيروا في الأرض ...) وهذه القوانين على نوعين: نوع من القوانين الكونية متاح للجميع، مثل معرفة مواسم الزرع والحصاد، وأوقات الغروب والشروق والخسوف، وقوانين الذرة والفيزياء والفلك، فهذا العلم مشاع للجميع ولا يختص المسلمون بشيء منه باعتبارهم مسلمين. قال تعالى: قل انظروا ماذا في السماوات والأرض. وقال: والشمس تجري لمستقر لها. فهذه السنن والقوانين تقع بطريق القهر وعلى الفور.

والنوع الآخر يتعلق بالأمم والجماعات، و متاح معرفته بالوحي، وهو في ثبوته مثل الأول، لكن الفقه به أقل، لخصوصية المخاطب به، ولأن تمييزه أصعب وأدق، وهذا مثاله قوانين الذنوب والمعاصي، وقوانين التمكين والاستخلاف للمؤمنين. قال تعالى عن قانون العدل: ليس بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به. فالجزاء بحسب سنة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه. وهذه السنن تقع لا محالة لكنها تحمل صفة الإهمال بعض الوقت. ولأجل هذا الفرق بين الأحداث الكونية المادية من جهة، والأحداث البشرية من جهة أخرى، فإن بعض الناس يغفلون عن سنة الله في الاجتماع البشري وفي تصرفات وسلوك الأفراد والأمم، ويظنون أن أمورهم لا تخضع كما تخضع الظواهر الكونية للقانون الإلهي.

### ٢. قانون السببية: وهو قانون يؤثر في عامة ما سواه من القوانين:

هو أيضا قانون إلهي عام، من النوع الأول الذي تتاح معرفته لكافة العقلاء، فقد دل القرآن الكريم والعقل السليم على أن كل شيء يحدث بسبب، سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجماد أو النباتات أو الحيوان أو الإنسان أو الأجرام السماوية أو الظواهر الكونية المادية المختلفة. وقانون السببية والذي هو ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها، هو قانون عام شامل لكل ما في العالم ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات). مجموع الفتاوى ٧٠/٨. فمن الأسباب المادية قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ البقرة ٢٢، ومن الأسباب المعنوية: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال ٢٩.



والقرآن الكريم حافل بترتيب الأحكام الكونية والشرعية والثواب والعقاب على الأسباب بطرق متنوعة: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ الحاقة ٢٤، ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ الطلاق ٢. وهذا القانون أحد أهم دواعي التدبر في السنن.

وهناك تفصيلات كثيرة في هذا القانون ليس هذا مجال بسطها، غير أن الإشارة تجدر إلى أن السبب إنما يستوجب مسببه إذا توفرت شروط عمل هذا السبب وفعالتيه واستدعاؤه لمسببه، كما لا بد من انتفاء الموانع التي تعيق عمل هذا السبب أو تسلبه فعالتيه بحيث يصبح غير قادر على استدعاء مسببه.

فالأكل مثلاً سبب للغذاء والشبع واستدامة الحياة، ولكن بشرط سلامة أعضاء الإنسان الضرورية لتلقي الطعام والاستفادة منه، وانتفاء الموانع والعوائق التي تعيق عمل هذه الأعضاء في انتفاعها من الأكل.

والزرع سببه حرث الأرض وإلقاء البذر، وشروطه صلاحية الأرض للإنبات وصلاحية هذا البذر للنبات وتوفر الماء الكافي وانتفاء الموانع كالأفات التي تهلك الزرع والثمر أو تمنع نموه وهكذا... قال الإمام الشاطبي: وأما إذا لم تفعل الأسباب على ما ينبغي ولا استكملت شرائطها ولم تنتف موانعها فلا تقع مسبباتها شاء المكلف أو أبى، لأن المسببات ليس وقوعها أو عدم وقوعها لاختياره. وأيضاً فإن الشارع لم يجعلها أسباباً مقتضية لمسبباتها إلا مع وجود شرائطها وانتفاء موانعها، فإذا لم تتوفر لم يستكمل السبب أن يكون سبباً شرعياً، سواء علينا أقلنا إن الشروط وانتفاء الموانع أجزاء أسباب أم لا، فالثمرة واحدة. الموافقات للشاطبي، ج ١، ص ٢١٨.

وفي التخطيط الاستراتيجي، فإن مفهوم السبب والنتيجة Cause and Effect هو أحد أهم المفاهيم التي تقوم عليها عمليات التخطيط الاستراتيجي في سائر المنهجيات.

### ٣. التفريق في استخدام القوانين بين مدخلات التخطيط ومخرجاته :

من المعلوم أن قياس الأعمال والاستراتيجيات يتم عبر مؤشرات معيارية يطلق عليها اسم مؤشرات الأداء الرئيسة KPIs -Key Performance Indicators وتعريفها: هي مقاييس كمية تساعدنا على معرفة مقدار تقدمنا باتجاه تحقيق الاستراتيجية.

وهذه المؤشرات على نوعين:

١. مؤشرات السبب أو «المؤثر» Lead وتركز على ما يجب أن نقوم به من أعمال ومبادرات لتحقيق النتائج المرجوة من الاستراتيجية.

٢. مؤشرات النتيجة أو «الأثر» Lag وتركز على قياس الانجاز المحقق من هذه المبادرات والأعمال تحت سقف الاستراتيجية.



وفي الجملة: إذا أحسنا القيام ب... (مؤشر السبب)، فسنتمكن من تحقيق... (مؤشر النتيجة)

#### ونضرب مثالا مبسطا للتوضيح:

في العملية التعليمية: فإن نسبة عدد المعلمين إلى أعداد الطلاب، وجاهزية المناهج هي مؤشرات سبب، بينما عدد الطلاب الناجحين ونسبة النجاح هي مؤشرات نتيجة. وكما يستخدم مبدأ السبب والنتيجة في زراعة الأرض والعناية بالمقدمات، فكذلك يستخدم نفس القانون في بطاقة الأداء المتوازن كأداة للتخطيط الاستراتيجي، فهي تضع تراتبية الأعمال الاستراتيجية، عبر مبدأ السبب والنتيجة.

وأرى أننا بحاجة للتركيز على مؤشرات السبب في النظر إلى السنن كقوانين وقواعد "مدخلات" في عملنا الاستراتيجي، أكثر من استخدامها كأدوات تحليل "نتائج" على ما يجري في الشام... مع أنهما مترابطان على مبدأ السبب والنتيجة Cause & Effect. إلا أن التفريق بينهما في غاية الأهمية للنهوض بالعمل.

#### فمثلا:

- ينبغي أن ينصب اهتمام الجماعات والكيانات على قانون "التقنية والفرز"، والذي يعنى بتقنية الصفوف من المنافقين والدخلاء، وتطوير برامج وآليات عمل تربوية وتنظيمية وأمنية لهذا المقصد الاستراتيجي، وينبغي أن ينصب الاهتمام بهذا الأمر أكثر من الاهتمام باستخدام ذات القانون للحكم على الجماعة الفلانية أنها تفككت بسبب المنافقين والدخلاء.
- مثال آخر: ينبغي التركيز على قانون "الجماعة"، والذي يعنى بوحدة الصف، ويطلق المبادرات التي تجمع الكلمة على مقصد مركزي وفكرة محورية، أكثر من استخدام القانون ذاته في تحليل حالة التشرذم.

بهذا نخرج من جدلية نقاش النتائج الذي لا يعود بفائدة كبيرة، إلى واقع العمل الرحب الذي يستوعب الجميع، فيقل شغفنا بالحكم على الأفراد والجماعات والمؤسسات، هل البلاء الذي أصابها هو بلاء الاصطفاء وما قبل التمكين أم هو بلاء التطهير أم بلاء الانتقام، وهل زوال هذه الأسماء والكيانات الكبيرة هو محض اختيار قادتها للتطوير أم هو قانون الاستبدال؟

ولنخرج بوعي من هذه الحالة الحُكمية "إطلاق الأحكام" التي تصيب العاملين بالإحباط أحيانا، وبالشعور بكمال زائف أحيين أخرى، ولنعطيهما قدرها الذي تستحقه فحسب، وننتقل إلى العمل الجاد الذي يستخدم هذه القوانين في توليد المبادرات والمشاريع البناءة، مستشعرين القانون



الإلهي الذي لا يتبدل " فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال "

مرة أخرى: كلاهما مهم، لكننا بحاجة إلى التركيز على المدخلات أكثر وعلى تجويدها وضبطها وتكثيفها، لأن النتائج ستتحقق وفق قانون إلهي دقيق. ﴿وقل عملوا ...﴾.

### المحور الثاني / نموذج تطبيقي على خطتين استراتيجيتين وفق قوانين مختلفة :

كلمة "استراتيجية" لفظ أعجمي مقتبس من كلمة "Stratégie" الفرنسية أو كلمة "Strategy" الإنجليزية، وأصلها في هاتين اللغتين من الكلمة اللاتينية "Strategos"، وهو الجيش. وبهذا المعنى تكون كلمة "Strategos"، هي قائد الجيش، و"Stragegia" هي فن قيادة الجيش، أو فن قيادة الحروب. ثم اتسعت دائرة استعمال المصطلح في العصر الحديث ليصبح دالاً على فن التخطيط أو فن التدبير في جميع مجالات الحياة المعاصرة. ولقد تطور مفهوم الاستراتيجية تطوراً كبيراً عبر التاريخ. فهي عند كارل فون كلاوزفيتز و Carl von Clausewitz - كبير الكتاب العسكريين في القرن التاسع عشر: فن استخدام المعارك وسيلة لتحقيق أهداف الحرب. ثم جاء أحد تلامذته من بعده، وهو القائد هلموث فون مولتكه Helmuth von Moltke فطور هذا المفهوم ليصبح دالاً على فن استخدام الوسائل الموضوعية تحت تصرف القائد العسكري لتحقيق أهداف الحرب. ثم تطور هذا عند الألماني إيريك لودندورف Erich Ludendorff، حيث يعرف الاستراتيجية بأنها " دخول المعارك الحاسمة للقضاء على جيش العدو وتحطيم إمكانياته ".

وفي بداية الستينيات، أصدر الجنرال الفرنسي أندري بوفر André Beaufre كتابه الشهير مدخل إلى الاستراتيجية (Introduction à La stratégie)، الذي أضحي مرجعاً لطلاب المدارس العسكرية والاستراتيجية، قدم فيه التعريف التالي: "إنني أعتقد أن روح الاستراتيجية كامنة في اللعبة المجردة الناجمة عن تعارض إرادتين. إنها الفن الذي يسمح -بعيداً عن كل تقنية- بالسيطرة على معضلات كل صراع، حتى يسمح باستخدام التقنية بأقصى فاعلية ممكنة. إنها إذا فن حوار القوى أو بالأحرى فن حوار الإرادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها."

إذن نحن نخوض صراعاً استراتيجياً شرساً، تستخدم فيها كل أدوات المكر لإخضاع الآخر، أو تنحيته عن ممارسة دوره، " وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال "

وإذا أردنا أن ننطلق من المحور الأول في تطبيق عملي، ومثال واقعي في حال قوانين الصراع، فعلياً النظر بشمولية أوسع لاستشراف الخطط الاستراتيجية والسيناريوهات الأكثر مناسبة وملاءمة لواقع الحال، وطلب المأل.



وفي هذا المحور نتحدث عن ثلاثة قوانين إلهية بإيجاز شديد، كلها تتحدث حول المعنى الأصلي للاستراتيجية، عن قوانين الصراع، ونحاول الجمع بينها في واحدة من تطبيقات السياسة الشرعية، للخروج باستراتيجية مقترحة:

١. قانون المدافعة: وهو قانون الصراع الأول، القانون الذي يوضح طبيعة العلاقة بين الحق والباطل، والتدافع بين الحق والباطل يعني بالضرورة التدافع بين أصحابهما، فلا يظن ظان أن الحق ينتصر هكذا لأنه الحق فحسب، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ محمد ٤.

كما أن التدافع يقع بين الباطل والباطل أيضا، فلا بد من قوة تقوم بعمل هذه المدافعة حتى يحصل التعارض والتزاحم والتدافع بين الفريقين، وغلبة أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر وطرده ودفعه وإزالته، أو على الأقل إضعافه ومنعه من أن يكون له تأثير في واقع الحياة. وهذا القانون حتمي لا مفر منه، فلا يتصور إذن أن يعيش الحق والباطل في سلم من دون غلبة أحدهما على الآخر.

٢. قانون هلاك الظالمين، وانتصار المظلومين:

(١) هلاك الظالم، مطرد في كتاب الله، قال تعالى: ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام ٤٧، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ يونس ١٣.

(٢) هلاك الظالم له أجل مضروب حتى لو كان مجهولا لنا ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ الأنبياء ١١، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ الأعراف ٣٤.

(٢) لا يتحقق هلاك الأمم بمجرد الكفر، بل لابد من وجود الظلم.

قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون"، قال: إن المراد من الظلم في هذه الآية الشرك. والمعنى أن الله تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين، إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم يعامل بعضهم بعضاً على الصلاح وعدم الفساد، والحاصل أن عذاب الاستئصال لا ينزل لأجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر، بل إنما ينزل ذلك العذاب إذا أساءوا في المعاملات وسعوا في الإيذاء والظلم. ويقال في الأثر: الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم). انظر تفسير الرازي ١٨/٤١٠.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأمر الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي



قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم ، ولهذا قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة). الاستقامة ٢/٢٤٧.

- (٤) من الظلم المهلك المحاباة في تطبيق القانون: فإذا اختل النظام، فلم يطبق القانون على الجميع، وأخذت المحاباة تفعل فعلها، فأخذ بها الحاكم، كان ذلك من الظلم الذي تباشره الدولة أو تعين على وقوعه أو تسكت عنه فلا تمنعه، فيقوم فيها سبب الهلاك فتهلك. قال عليه الصلاة والسلام: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ. رواه البخاري ومسلم
- (٥) قد يتحقق القانون بتسليط ظالم آخر عليه، قال تعالى: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾ الأنعام ١٢٩.
- (٦) هذا قانون عام ينطبق على سائر الأمم، ويمكن العمل على استثماره من كل أحد في مواجهة الظلم ببذل الحد المطلوب من المدافعة، ليتحقق هذا النوع من الانتصار، وهي اشتراطات عامة.

٣. قانون انتصار التمكين: انطلاقاً من قانون المدافعة، فإن انتصار الإيمان، وتحقق التمكين للمؤمنين في الأرض، والاستخلاف بدرجة أكبر، لا بد أن يتحقق بقدر من المدافعة أكثر مما يتطلبه قانون انتصار المظلومين، حيث يتطلب تحقيق شروط هذا النوع من الانتصار (انتصار التمكين والاستخلاف)، وتجنب معوقاته وموانعه.

فمن شروطه:

١. الإيمان الصادق عند أصحابه، وخلوهم من الدخن في جملتهم، قال تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ الروم ٤٧.
٢. تقوى الله والإخلاص له، قال تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ آل عمران ١٢٥.
٣. أن يكون القيام نصرة للدين، قال تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ الحج ٤٠.
٤. أن يكون الغرض هو إقامة الصلاة وشعائر الدين، قال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ الحج ٤١.
٥. الصبر، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ آل عمران ٢٠٠.



٦. ذكر الله كثيراً، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون).

ومن العوائق والموانع التي يلزم تفاديها لتطبيق قانون التمكين:

١. ترك الجهاد، فهو مدعاة للعذاب، ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾ التوبة ٢٩، قال الإمام ابن العربي المالكي في هذه الآية: وجب بمقتضى هذه الآية النفير للجهاد والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا. والعذاب الأليم هو الذي في الدنيا باستيلاء العدو على من لم يستول عليه وبالنار في الآخرة. وزيادة على ذلك باستبدال غيركم. أحكام القرآن ٩٣٧/٢ باختصار.

٢. التنازع والاختلاف، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ الأنفال ٤٥.  
٣. الغرور والرياء، والخروج للقتال على وجه البطر والفخر. قال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله﴾ الأنفال ٤٧.

وانطلاقاً مما سبق، فإن وضع خطة استراتيجية لرفع الظلم الواقع على أهل الشام يتطلب العمل بقانون خاص ومشاريع ومبادرات لذلك، أما وضع خطة استراتيجية لتمكين دين الله في أرض الشام، فيتطلب العمل بقوانين أخرى إضافية، ولذلك مشاريع ومبادرات زائدة.

والخلط الحاصل في تطبيق القوانين الإلهية على جملة من المشاريع الشامية يجعل نتائج تخبثها واضحة، على الأقل في المنظور الحالي ما لم تتغير المعطيات، أو "المدخلات" بمعنى آخر. وكما أن السنن والقوانين الإلهية تتشابه وتتداخل، فهي لا تعمل منفردة، فكذلك المشاريع

الاستراتيجية يمكن أن تتداخل وتتشابك، لكننا لغرض التوضيح أفرزناها على هذا النحو... وعليه يمكن أن يعمل قادة الأمة على مشروعين متوازيين: مشروع رفع الظلم، وهو الأسرع والأقرب، والأيسر مناولة، ومشروع التمكين، وهو الأطول زمناً والأعمق أثراً في الحضارة البشرية. ولا ينبغي أن نخلط بينهما فنطلب الثاني بقانون الأول، أو نطلب الأول دون تحقيق متطلباته.

المشروع الأول يعطي مساحة واسعة للمقبول المشترك لكل من يتركز حول الهدف المحوري ويسعى لرفع الظلم، حتى لو كان من غير المسلمين، كمثل حلف الفضول، والمشروع الثاني يعنى ببناء النخب القيادية التي تقوم على الإيمان العميق، وعلى منظومة الأخلاق الإيمانية، متسلحة



في مجموعها بجوانب القوة الروحية والنفسية والمادية والتقنية، مع إيجاد عوامل استمرار وحدة صفها واتساع رقعتها، ما يؤهلها لقيادة مشروع التمكين.

**مشروع رفع الظلم يتطلب القدر الإنساني المشترك لرفعه:**

١. بلورة الفكرة المحورية التي تدور حول رفع الظلم.

٢. التجمع "التعصب" عليها بجمع الصف ووحدة الكلمة.

٣. قيادة واعية موجّهة.

٤. الإعداد المادي.

**ومشروع التمكين يتطلب، إضافة لما سبق:**

١. الإيمان الصادق بالله، وخلق الصف القيادي من المنافقين.

٢. القيام نصره للدين، وإقامة الدين وشعائره.

٣. الصبر، والمصابرة والمرابطة.

٤. الجهاد المستمر لتحقيق التمكين، ولحمايته وأهله.

٥. تقوى الله والإخلاص له، والتخلص من أي قصد للدنيا.

**وانطلاقاً من قانون السببية، وتطبيقاً لقانون المدافعة، يمكننا اقتراح الاستراتيجيات**

**التالية لتحقيق رفع الظلم على وجه التقريب:**

١. وضع مشروع جامع، هادفاً إلى رفع الظلم وأدواته وآلياته، أخذاً بالرخص الممكنة في زمن الاستضعاف.

٢. إطلاق مبادرات تجمع الصف والكلمة، على المحور السياسي والعسكري والمدني، وعدم التوقف عن هذه المبادرات مهما تعثرت.

٣. الوصول بآليات تشاور وانتخاب واعية إلى قيادة مركزية، تتمثل في مؤسسة أو مجلس يضم أهل العلم والدراية في كافة المحاور.

٤. الإعداد المادي لمقاومة الظلم، ويتضمن:

• تطوير الخطاب الإعلامي لتوسعة قاعدة المشاركين في هذا المشروع الجامع، ولرد عادية الهجمات الإعلامية.

• التأهيل والتدريب العسكري النخبوي.

• التصنيع والإنتاج المادي والتقني بكل أشكاله.

• التطوير الإداري والتقني لبناء عمل مؤسسي.

- ويمكننا اقتراح الاستراتيجيات التالية لتحقيق مشروع التمكين، إضافة لجميع ما سبق:
١. التوسع في إنشاء المدارس والمعاهد، وإعداد المناهج التي تشكل الجيل الجديد المتسلح بالإيمان العميق، المتخلق بالأخلاق السامية، وسطا بين الإفراط والتفريط، وتنظيم ذلك بطرق مركزية وغير مركزية لتسهيل العلوم على فئات المجتمع كلها.
  ٢. عمل المشروعات التربوية المختلفة، التي تبني مؤسسات الثورة على الأسس الفكرية والأخلاقية الإسلامية الصحيحة.
  ٣. الاهتمام بالعمل التنظيمي والأمني الذي يحمي الصف من الاختراق، والحذر من الانتهازيين.
  ٤. تطوير الكوادر المتخصصة، وانتداب الموهوبين والمميزين للتخصصات التي تدعو الحاجة لها، وعمل برامج لبناء القيادات.
  ٥. بناء المؤسسة العسكرية وفق أعلى المواصفات العلمية المتاحة، ماديا ومعنويا.
  ٦. تحرير المؤسسة القضائية، وتفعيل الرقابة عليها، ونشر العدل سواسية بين جميع الناس بغض النظر عن أي عوامل أخرى.
  ٧. تقديم البرامج الإيمانية والمواظب التي ترقق القلوب، وتذكر كافة الكوادر بالهم الرسالي الذي يحملونه، وبأهمية الصبر عليه، وفضل ذلك، حتى لا يستطيخوا الطريق.

هذه استراتيجيات ومبادرات طويلة الأمد، لكن هذا هو الطريق الصحيح، وهذا هو تطبيق القانون الإلهي، وما عداه هو اعتساف لا يوصل إلى تمكين ولا استخلاف.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ محمد ٣٨.

ويقول: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال﴾ الرعد ١٧.

إن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.



### أهم المراجع:

- ١ . السنن الإلهية - د. عبد الكريم زيدان.
  - ٢ . سنن الله في الأمم - د. حسن الحميد.
  - ٣ . المنازلة العالمية الإسلامية والعولمة البشرية - د. سامي الدلال.
  - ٤ . نظرات في منازلة النوازل - د. عبد العزيز بن مصطفى كامل.
  - ٥ . الاستشراف في السنة النبوية - د. حذيفة السامرائي.
  - ٦ . على عتبات الحضارة - د. بتول جندي.
  - ٧ . تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي - د. محمد بريش.
8. The Strategy-Focused Organization - Robert S. Kaplan. David P. Norton.
  9. The execution premium: linking strategy to operations for competitive advantage - Robert S. Kaplan. David P. Norton.
  10. Balanced Scorecard Strategy - Chuck Hannabarger. Rick Buchman. and Peter Economy.
  11. Performance measurement - Barr Stacey.



## الخاتمة والتوصيات

علينا أن نفقه سنن الله في الدعوات والدول والأمم ، وهي دساتير ثابتة في حركة المجتمعات وزوال وقيام الحضارات والدول وعليها يمكن تحديد المنحنى البياني لقوتها وضعفها صعودا وسقوطا، مما يزودنا بثوابت في انجاز ثورتنا فلأطار السننني مهم للغاية في التعامل مع الأحداث التي تغيير مجرى التاريخ.

وهذه السنن سنن ثابتة لا تُجامل نبياً مرسلأ ولا ولياً مقرباً، وهي تفعل فعلها بالمجتمعات كما تفعل قوانين الفيزياء والكيمياء فعلها في المادة، وهي تختلف عن السنن الكونية التي ربما تُخرقُ لنبي أو ولي، فهذه السنن لا ينبغي التحويل على خرقها أو التعلق بتخلفها.

والجهل بهذه الدساتير يجعلنا نقف متخبطين، تشتتنا الحيرة أمام الأحداث التي تقع قدرا على ما حددته حكمة الله تعالى بين مقدمات هذه السنن ونتيجتها الحتمية، لذلك كان لزاماً علينا أن نبذل المزيد من الجهود في دراسة هذه السنن لنصل بها إلى درجة قريبة من القطعية، ولتصبح منظومة متكاملة يحسن معها الاستفادة والإسقاط على الواقع قبل المجازفة في إعطاء أحكام قطعية لمجرد إحاطة جزئية بهذه السنن.

فمعرفة السنن التي تؤدي لحدوث الظواهر سواء كانت مادية أو إنسانية، يفيدنا في التحكم بهذه الظواهر، بمعرفة شروطها وأحكامها وموانع حدوثها، ويجعلنا قادرين على تسخيرها لصالحنا والاستفادة منها وتوظيفها في تصريف شؤون حياتنا، مما ييسر لنا مهمة الاستخلاف في الأرض وبناء الحضارة الإسلامية فميزة الحضارات الحديثة هي القدرة على الاستشعار على مواضع الخلل واسباب فنائها قبل الاستفحال مما يعطي فرصة لتدارك سقوطها والبحث في وسائل علاجها.

• معرفة السنن الربانية تمكنا من الفهم الصحيح عند شح المعلومات أو تزويرها، خصوصا مع الفقر المدقع لدينا بمراكز البحث والدراسات الاستراتيجية، كما تساعدنا على كشف زيف الأخبار وتساعدنا على فهم الواقع وتحليله والتنبؤ بمسار الأحداث، الأمر الذي يدعونا إلى اتخاذ التدابير الاحترازية وتجنب الإشكالات الحضارية قبل الوصول إليها، ولو توفر لدينا العمل البحثي الاستراتيجي مع هذا الإطار السنني فإن خيارنا



وقراراتنا ستقترب كثيراً إلى القطعية لأنها ستسهم في تكوين التصور الصحيح لدينا والحكم على الشيء فرع عن تصوره وتعصمنا من المجازفة بإطلاق الأحكام الظنية.

- من خلال السنن الإلهية نفهم التاريخ، ونفسر أحداثه تفسيراً شرعياً سليماً ينفعنا في تقييم حاضرنا واستشراف مستقبلنا؛ وللأسف كثير من المسلمين اليوم لا يملكون القدرة على ربط النتائج بالأسباب، وكشف اللثام عن حقيقة السنن بل قد يدهشهم الواقع دون تفسير حقيقي لما سيكون في الغد من أحداث، قد تكون سعيدة أو مؤلمة. ولانكتفي في دراستنا للسنن بتوليفها في الجانب الاستشرافي للمستقبل بل في الحرص على عدم خلق حالة من التصادمية الانتحارية معها.

- يجب علينا أن نقوم بالفرائض المغيبة من الاستنباط والاعتبار من أحوال الأمم السالفة خصوصاً ما يقصه علينا القرآن الكريم، فهي المادة الغزيرة التي تثري معرفتنا بالسنن بالوقوف على تلك التجارب التي تتكرر بمقدماتها ونتائجها، فأصحاب البصائر من أهل العلم يعرفون عوامل البناء والأمن والاستقرار والصحة والرفاهية، وعوامل الهدم والخوف والجوع والمرض، ولكن:

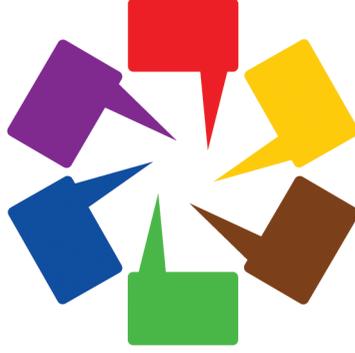
- السنن الربانية في الخلق هي لغة الكون ونحن في حاجة إلى معرفتها كيلا نصادمها وكي نتعامل مع أحداث الحياة بمنطقية وموضوعية وهذا الأمر يتطلب منا محاولة تحويل هذه السنن إلى معادلة رقمية قابلة للقياس التقريبي لأن هذه السنن في أغلبها تنطلق من مقدمة هي ظواهر اجتماعية يمكن رصدها.

- ينبغي أن نكون وسطاً بين الإفراط والتفريط في التعامل مع السنن، فلا نتجاهلها من جهة ولا نجزم بانطباقها في حالة معينة إلا بعد تمحيص وتدقيق شديدين من جهة أخرى.

- هناك صعوبة نسبية في تنزيل سنة على حالة معينة- أي أن نجزم بحدوث أمر لتحقيق أسبابه ومقدماته- لكن الأيسر بكثير، وهو مفيد جداً أيضاً، أن نستخدم السنن في النفي، أي نجزم باستحالة وقوع أمر لتخلف أسبابه ومقدماته. فمن العسير أن نجزم أننا استكملاً أسباب النصر فلننتظره، ولكن من الأسهل أن نجزم أننا لم نستوف شرائط النصر فلا ينبغي أن نتوقعه.

والحمد لله رب العالمين..





# مركز الحوار السوري

## Syrian Dialogue Centre